الكتاب الثامن

سلسلة المرأة والحوار الذات

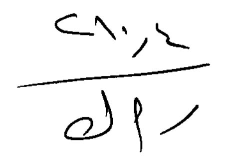
كوني مطمئنة

كيف تصالحين نفسك وتغلبين شيطانك؟



د. أكرم رضا

سلسلة
إدارة الــــذات
الكتاب الثامن
مجاهدة لنفسها



كوني مطمئنة

كيف تصالحين نفسك وتغلبين شيطانك ؟

د . أكرم رضا



الطبعة الأولى للناشر

١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

رقم الإيداع: ٢٠٠٨/٣١٣٩٣

الترقيم الدولي: I.S.B.N

978-977-456-163-8

مركز السلام للتجهيز الفني

عبد الحميد عمر

٠١٠٦٩٦٢٦٤٧





إهداء

إلى

امرأة من الرعيل الأول عاشت في عصرنا.

رأيناها نسيبة في سبقها

أم سلمة في هجرتها

وخديجة في حنوها.

إلى الحاجة زينب الغزالي صاحبة راية الجهاد والمجاهدة في القرن العشرين.

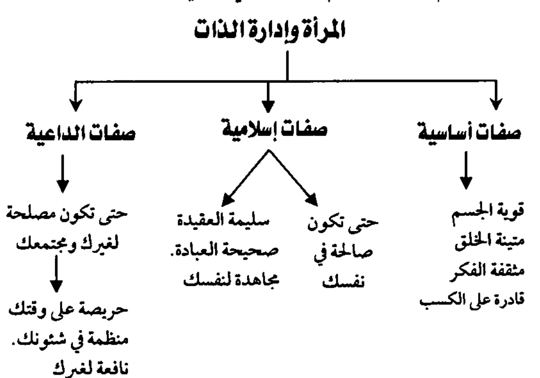
حتى تعلم كل امرأة أن لها دورًا[1].

(١) اقرأي ترجمة لضيفتنا في نهاية هذا الكتاب



أذكرك أختي المسلمة بخريطة هذه السلسلة المباركة التي مر بنا منها ثمانية كتب اشتملت على سبع صفات من صفات المرأة المسلمة على طريق إدارة الذات.

وقد بينا من قبل[1] أننا سنقدم صفات عشرًا مقسمة على ثلاثة أقسام كما في الرسم التوضيحي التالي:



(١) راجعي الكتاب السادس من هذه السلسلة.

وهذا الكتاب هو نهاية المرحلة الثانية على طريق إدارة الذات أن تكون مجاهدة لنفسك.

فهذا الكتاب (**كوني مطمئنة**) طريق للوصول إلى مصالحة مع النفس اللوامة لهجر الأمر بالسوء حتى ينضبط لك الطريقة وينتهي ذلك العداء الموهوم بينك وبين نفسك، ذلك العداء الذي يجعلك إما أن تجلدي ذاتك أو تستشعري عدم الثقة بالنفس أو تكتئبي...

هذا الكتاب طريق للوصول إلى تلك المصالحة مع النفس التي تجعلك في تعاون معها لمواجهة العدو الأكبر الشيطان، فالله تعالى حدده لنا كعدو أساسي في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا**﴾ [فاطر: ٦] وهو طريق لضبط المسير مع تلك النفس على طريقة الوصول إلى الأهداف مع الله ومع النفس ومع الناس...

إنه وسيله لتكوني مطمئنة وتصبحي من أصحاب ذلك النداء المحبب الذي يرجوه كل مؤمن ﴿**يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ۞ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ۞ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ۞ وَادْخُلِي جَنَّتِي**﴾ [الفجر:٢٧-٣٠].

وقد وجهنا الخطاب في هذه المجموعة -المرأة وإدارة الذات- إلى المرأة المسلمة خاصة في زمن لم يعد يخاطبها أحد إلا

من أراد بخطابه أن يزرع زرعًا شيطانيًّا في أهم حصوننا وأكثرها قوة وصلابة.. حصن الزوجة والأم.

وقد يحسن بالرجل أن يطالع تلك المعاني التي رصدناها في هذه السلسلة ليدرك أن رفيقة الدرب قد حزمت أمتعتها وقرارها وبدأت السير... فهل سيتركها تسبقه أم يبدأ في اللحاق بها؟!

والإجابة عندكم

د/ أكرم رضا

Akramreda@yahoo.com



يقول تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

ثلاث كلمات ذكرت في القرآن، مشتقة كلها من مادة واحدة في اللغة وهي (ج، هـ، د) هي:

الجهاد، الاجتهاد، المجاهدة

وهي بمعنى بذل الجُهد (بضم الميم) أي إعطاء الطاقة أو بمعنى تحمل الجَهد (بفتح الجيم) أي تحمل المشقة، وإن كان الاجتهاد هدفه معرفة الهدى ودين الحق فتستخدم في مجال العلم.

والجهاد هدفه حماية هذا الحق والدفاع عنه، فإن المجاهدة فرع من الجهاد والاجتهاد.

يقول ابن القيم:

(ولما كان جهاد أعداء الله في الخارج فرعًا على جهاد العبد نفسه في ذات الله.

كما قال رسول الله ﷺ: «المجاهد من جاهد نفسه في طاعة

الله والمهاجر من هجر الخطايا والذنوب»[١].

فقد أمر الله عباده أن يجاهدوا فيه حق جهاده: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨]..

كما أمرهم أن يتقوه حق تقاته فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

وكما أن حق تقاته أن يطاع فلا يعصى ويذكر فلا ينسى ويشكر فلا يكفر.. فحق جهاده أن يجاهد العبد نفسه ليسلم قلبه ولسانه وجوارحه لله فيكون كله لله وبالله لا لنفسه وبنفسه.

- ويجاهد شيطانه بتكذيب وعده ومعصية أمره وارتكاب نهيه فإنه يعد الأماني ويمني الغرور ويعد الفقر ويأمر بالفحشاء)[٢].

جهاد النفس:

وهذان نوعان من الجهاد ضمن -ابن القيم- كما بينها أربعة

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده ٦/ ٢٠ والترمذي في جامعه كتاب فضائل الجهاد باب من مات مرابطا.

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم ج٣ صـ٦ مؤسسة الرسالة بيروت، ط١٥ ١٩٨٧م.

مراتب هي:

- جهاد النفس.
- جهاد الشيطان.
- جهاد الكفار.
- جهاد المنافقين.

ويعود ابن القيم ليقسم جهاد النفس إلى أربع مراتب:

أولها: أن تجاهد نفسك على تعلم الحق.

وثانيها: أن تجاهد نفسك أن تعمل بما تعلمت.

وثالثها: أن تجاهد نفسك لنشر هذا الحق ودعوة غيرك إليه.

ورابعها: الصبر على تعب وألم ومشقة الثلاثة السابقة.

﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لاَ يُفْتَنُونَ﴾ [العنكبوت: ٢].

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ...﴾ [آل عمران: ١٤٢].

وهكذا يكون الجهاد هو الاسم الشامل الذي يجمع تحته المجاهدة والاجتهاد والقتال.

فالقتال لأعداء الله من الكفار والمشركين وآل الكتاب والمنافقين على تفصيل في التعامل مع كل واحد منهم.. وسبب

قتال كل فريق منهم مفصل في كتب الفقه.

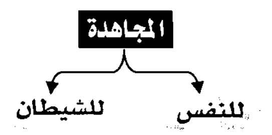
والاجتهاد هو بذل الجهد في فهم ديننا ووسيلته العلم والتعلم والقرآن والسنة.

أما المجاهدة فهي على وزن مفاعلة تلاحظ فيها التجاذب بين طرفين: الطرف الأول هو أنت أيتها المؤمنة، أنت بقلبك وعقلك وجوارحك.

والطرف الثاني هو شيء بداخلك وهو نفسك التي بين جنبيك بهواها وشهواتها ورغباتها ﴿**وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۞ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۞ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۞ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا**﴾[الشمس: ٧- ١٠].

وشيء خارج عنك وهو الشيطان بوسوسته وإغوائه وإغرائه.

﴿**إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا**﴾[فاطر: ٦].



سورة العصر:

وإذا نظرنا إلى سورة العصر سنجد أن مراتب المجاهدة واضحة في هذه السورة.

يقول تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ ۞ إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۞ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: ١ - ٣].

فما هو الخسران؟

الإجابة تأتينا في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾[الزمر: ١٥].

فالخسران أن يجد الإنسان نفسه يوم العرض ليس معه شيء ويسأل رسول الله ﷺ أصحابه يومًا: «**أتدرون من المفلس؟**» [(١)] فيجيب الصحابة حوله الإجابة الظاهرة: المفلس فينا من ليس له درهم ولا دينار فيبين ﷺ أن هذا مفلس الدنيا أما مفلس الآخرة فشيء آخر.. عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أتدرون من المفلس**» قالوا: المفلس فينا يا رسول الله من لا درهم له ولا متاع له فقال رسول الله ﷺ: «**المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاته وصيامه وزكاته وقد شتم هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيقعد فيعطي هذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يعطي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار**» صدق رسول الله ﷺ.

---

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه كتاب الحدود باب الزني وحده، وقال شعيب الأرنؤوط إسناده صحيح على شرط مسلم.

الخسران بهذا المعنى مؤكد في السورة بأكثر من أسلوب.

- بالقسم «وَالْعَصْرِ».

- وبالتوكيد بإن وبـ لام التوكيد «لَفِي خُسْرٍ».

فكل الإنسان في خسر إلا أربعة أصناف يتمثل فيهم معنى المجاهدين ومراتبها الأربعة:

الأول: «الَّذِينَ آمَنُوا» (فجاهدوا أنفسهم على تعلم الحق) .

الثاني: «وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ» (فجاهدوا أنفسهم أن يعملوا بما علموا).

الثالث: «وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ» (فجاهدوا أنفسهم لنشر هذا الحق ودعوة الآخرين إليه).

الرابع: «وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ» (على تعب ومشقة الثلاثة السابقة).

ولذلك يقول الشافعي: «لو تدبر الناس سورة العصر لكفتهم».

ومن عظم فهم الصحابة لهذه السورة كانوا يذكرون بعضهم بها عند انتهاء اللقاء وبعد دعاء ختم المجلس...

مع النفس:

ذكرت النفس في القرآن بمعانٍ عدة منها:

١- الإنسان كله.. وذلك مثل قوله تعالى: ﴿أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾[المائدة: ٤٥].

٢- القلب.. وذلك مثل قوله تعالى: ﴿وَمَا تَهْوَى الأَنفُسُ﴾ [النجم: ٢٣] و﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي﴾ و﴿إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ [يوسف: ٥٣] و﴿وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ﴾[ق: ١٦] و﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ﴾ [الإسراء: ٢٥].

٣- الروح وذلك في قوله تعالى:﴿وَالْمَلآئِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ﴾[الأنعام: ٩٣] ﴿اللهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [الزمر: ٤٢]. (١)

وحتى لا ندخل في مباحث فلسفية فإن النفس التي نقصدها هنا هي القلب... وأيضًا ليس القلب هو تلك المضغة من اللحم التي تنبض بالحياة وإنما هو ذلك الهاتف الداخلي الذي نسمعه دائمًا يطلب ويريد ويلوم وينهى: وقد عبر عنه الرسول ﷺ بالقلب قال ﷺ: «**إن في الجسد مضغة لو صلحت صلح**

---

(١) راجع الوجوه والنظائر، الدامغاني ٢/ ٢٦٧- ٢٦٩ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة ١٩٦٦.

الجسد كله ألا وهي القلب»[١] وقال ﷺ: **«استفت قلبك لو أفتاك الناس وأفتوك»**[٢].

(إن هناك مطلبًا للنفس، وهناك مرض للنفس، وهناك استجابة للنفس ومطالبها، واندفاعات سلوكية هي أثر عن أمراضها.

والمسلم في هذه الدوائر مكلف، فهو مكلف بأن يعطي النفس مطالبها العادلة، وأن يجاهد مطالبها الظالمة الآثمة، وهو مكلف بإزالة المرض بالسير في طريق الشفاء، ومكلف في نفس الوقت ألا يستجيب لأوامر المرض، وذلك صعب دقيق والمستعان هو الله جل جلاله)[٣].

ويشهد لذلك أن رسول الله ﷺ كان يستعيذ بالله من شر نفسه، فعن أبي هريرة ﷺ أن أبا بكر قال: يا رسول الله مرني بكلمات أقولهن إذا أمسيت وإذا أصبحت قال: **«قل اللهم فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة رب كل شيء ومليكه، أشهد أن لا إله إلا أنت أعوذ بك من شر نفسي وشر الشيطان وشركه». قال: «قلها إذا أصبحت وإذا أمسيت وإذا أخذت مضجعك»**[٤].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الإيمان باب فقيل من استبرأ لدينه ومسلم كتاب الـمُساقاه باب أخذ الحلال وترك الشبهات.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده ٤/ ٢٢٨.

(٣) تربيتنا الروحية، سعيد حوى صـ١١٣ - ١١٤دار وهبة، القاهرة، ١٩٨٨م.

(٤) أخرجه أبو داود في سننه كتاب الأدب باب ما يقوله إذا أصبح والترمذي في جامعه كتاب الدعوات باب الدعاء إذا أصبح وإذا أمسي.

وانظري كيف أمر ﷺ باصطحاب هذه الاستفادة في الصباح والمساء بل وعند النوم ليتذكر الإنسان دائمًا أمر مجاهدته للنفس وللشيطان.

النفس المريضة:

وقد وصف الله تعالى النفس التي نقصدها هنا -وهي التي بين جنبيك- بصفات مختلفة رصدها في حالات متفاوتة فمنها النفس المطمئنة فقال تعالى: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ [الفجر: ٢٧].

﴿إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ﴾ [النحل: ١٠٦].

وقد احتاج إبراهيم هذا الاطمئنان وطلب من ربه أن يعينه عليه.. لأنه أمر عظيم ﴿قَالَ أَوَ لَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ [البقرة: ٢٦٠].

ومنها النفس السليمة وسماها سبحانه وتعالى هنا بالقلب ﴿إِلاَّ مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٩٨] وهو قلب إبراهيم عليه السلام ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ لإِبْرَاهِيمَ ۞ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الصافات: ٨٣، ٨٤].

ومنها النفس المريضة والتي عبر عنها القرآن أيضًا بالقلب ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللهُ مَرَضًا﴾ [البقرة: ١٠] وهؤلاء هم المنافقون...

وقد يتسرب المرض إلى قلوب المؤمنين كما وصفهم الله تعالى

عندما تقودهم الشهوة ﴿فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾
[الأحزاب: ٣٢].

ولقد رصدت السنة العديد من أمراض النفس والقلب خاصة.. فنجده ﷺ يستعيذ بالله من الكثير منها..

عن أنس عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل، والجبن والهرم والبخل، وأعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات**»(١).

ألا ترين في استعاذته -عليه الصلاة والسلام- بالله من العجز والكسل والجبن والبخل إشارة إلى أمراض منها الجسدي النفسي، ومنها النفسي الخالص الذي له آثاره السيئة في الحياة.

وعن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**اللهم إني أعوذ بك من الشقاق والنفاق وسوء الأخلاق**»(٢).

ألا ترين في هذا الحديث أيضًا إشارة إلى مجموع أمراض قلبية ونفسية.

ملك الجوارح:

وكما بينت السنة أن القلب ملك الجوارح تتحرك جميعًا بأمر

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الجهاد والسير باب ما يتعوذ من الجبن، ومسلم كتاب الذكر والدعاء والتوبة باب التعوذ من العجز والكسل وغيره.
(٢) أخرجه أبو داود في سننه كتاب سجود القرآن باب في الاستفادة.

منه فإن القلب أو النفس[1] إذا كان سليمًا تحركت الجوارح بسلوكيات سليمة وإذا كان مريضًا تحركت الجوارح بسلوكيات مريضة.

(إن كل مرض للقلب ينبثق منه- إذا أطاعه الإنسان- سلوك، فالحسد تنبثق عنه محاولات الإساءة إلى المحسود، والحقد تنبثق عنه عمليات الانتقام، والبخل ينبثق عنه المنع، وهكذا قل في كل مرض قلبي أو نفسي... وما آفات اللسان وأنواع كلامه الآثم من سخرية واستهزاء وغيبة ونميمة وغير ذلك إلا أثر عن الأمراض القلبية والنفسية، وما مواقف الإنسان المحرمة واستجابته لدواعي الشهوات إلا أثر عن أمراض القلب والنفس وهكذا)[2].

نقطة الانطلاق:



إن العلم بأمراض النفوس يساعد على علاجها والذكر هو زاد السير إلى الله.. والمجاهدة هي الطاقة التي تساعد على التخلص من الأمراض والوقاية منها.

وللانطلاق الجيد راجعي معي أختي المسلمة هاتين الآيتين:

---

(1) هناك تفصيلات متعددة حول الفرق بين النفس والقلب والعلاقة بينها أردنا ألا نذكرها هنا واعتمدنا أن الاثنين واحد طلبًا للاختصار.

(2) تربيتنا الروحية سعيد حوى صـ115.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾[العنكبوت:٦٩]، فمجاهدة النفس في سبيل الله تؤدي إلى الاهتداء إلى سبيل الله.

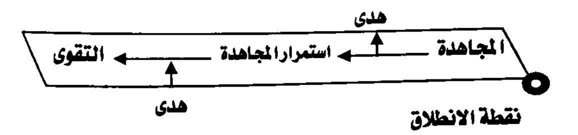
وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ [محمد: ١٧] والهدى يؤدي إلى استمرار الهدى ثم التقوى وهكذا مجاهدة فهدى فزيادة هدى وتقوى.

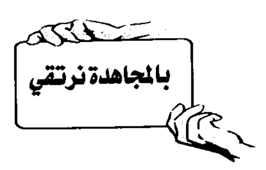
فنقطة الانطلاق إلى سبيل الله هي المجاهدة.. وبداية الطريق المستقيم هي المجاهدة.

وعلامات النجاح على هذا الطريق هي الهدى، وغاية الوصول هي التقوى.

فحتى تدركين صحة مجاهدتك انظري إلى السبيل الذي تسلكينه، ولكي تتأكدي أنه هو الصراط المستقيم فاسترشدي بلافتات الهدى على جانبيه فإذا وجدتِ الهدى يؤدي إلى هدى فاعلمي أنك الآن من أهل التقوى.

ويمكن تلخيص قضية مجاهدة النفس في محورين أساسين:
الأول: أن تتخلص النفس من أمراضها.
الثاني: أن تتحقق النفس بمعاني الصحة.





كما يمكن بناء سلم المجاهدة من الدرجات الآتية:

الأولى: مداومة إعلان الإيمان «أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله» ﴿وَمَن يُؤْمِنْ بِالله يَهْدِ قَلْبَهُ﴾[التغابن: ١١] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِالله وَرَسُولِهِ﴾ [النساء: ١٣٦].

الثانية: القيام بفروض الوقت مثل:

الصلاة على وقتها.. والصوم في حينه.

والزكاة بشروطها.. والحج عند الاستطاعة.

والزواج عند القدرة..

وضبط المعاملات من بيع وشراء.

وبر الوالدين.. وصلة الرحم...

الثالثة: ملاحظة أدب الوقت:

فلكل وقت أدبه.. فاللصباح أدب وللمساء أدب وللبكور أدب وللغروب أدب وللسحر أدب.

وللسفر أدب وفي العرس أدب وفي الطعام أدب... وفي التعامل مع الناس أدب ومع الأشياء والدواب والأنعام.

الرابعة: ضبط النفس عن المحرمات والمكروهات:

وقد تتبع قضية فروض الوقت وآدابه السابقة.

فمن الأدب تجنب المحرم وترك المكروه في كل وقت..

الخامسة: مراعاة الرواتب:

وقد أخذ الله تعالى على أهل الكتاب أنهم رتبوا على أنفسهم راتب الرهبانية.. ولكنهم لم يراعوها حق رعايتها.. فقال تعالى: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلاَّ ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ الله فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ [الحديد: ٢٧].

ولذلك فإن من أدب السير مع الله أن تراعي ما تعاهدت عليه معه سبحانه من رواتب ونوافل.. وأول الرواتب التي تستحق الرعاية هي الفروض التي فرضها الله، وأول النوافل التي تستحق الرعاية هي السنن التي داوم عليها حبيبه ﷺ، مثل نوافل الصلاة والصوم والصدقات والاعتكاف، وأوراد الذكر، ولقد رأينا أنه رغم المشقة فإن عبد الله بن عمر حافظ على ما عاهد عليه رسول الله من قراءة القرآن في ثلاثة أيام؟ [١].

* * *

(١) راجع تربيتنا الروحية سعيد حوى صـ١١٥ - ١٢٠.



عد الصالحون للمجاهدة أركانًا أربعة هي: العزلة والصمت والسهر والجوع.

فبالعزلة يتعود الإنسان الأنس بالله.

وبالصمت ينضبط اللسان الذي تكب حصائده في النار.

وبالسهر يتحكم الإنسان في نومه فلا يضيع الفجر ولا يخسر السحر.

وبالجوع يسد مجاري الشيطان... ويتعلم الصوم.

١- العزلة:

ولا نقصد بالعزلة اعتزال الناس والمجتمع فإن رسول الله ﷺ نهي عن ذلك بقوله: «**المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم**»[١] ويقول ﷺ: «**المؤمن يألف ويؤلف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف**»[٢] ويقول ﷺ «**وإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية**»[٣].

---

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه كتاب الفتن باب الصبر على البلاء.

(٢) أخرجه الحاكم في مستدركه أول كتاب الإيمان ١/ ٧٣ ح (٥٩).

(٣) أخرجه أبو داود في سننه كتاب الصلاة باب التشديد في ترك الجماعة.

ولكن لا يخفى علينا أن المؤمن مأمور باعتزال مجالس الفسوق والعصيان والنفاق والشقاق.. مأمور باعتزال الهزل والجدل والمماراة.. مأمور باعتزال اللهو غير المباح والذي يؤدي إلى حرام أو مكروه.

يقول تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلاَّ أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾[مريم: ٤٨].

ويأمرنا الله تعالى باتخاذ إبراهيم والذين معه أسوة حسنة في موقفة من الباطل واعتزاله له.. يقول تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللهِ وَحْدَهُ﴾ [الممتحنة: ٤].

ويبين سبحانه وتعالى نموذجًا لما يجب على المؤمن والمؤمنة اعتزاله.. وقال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلاَ تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[الأنعام: ٦٨].

وقال رسول الله ﷺ: «مثل الجليس الصالح كمثل صاحب المسك إن لم يصبك منه شيء أصابك منه ريحه، ومثل جليس السوء

كمثل صاحب الكير إن لم يصبك من سواده أصابك من دخانه»[١].

وقال عليه الصلاة والسلام: «**مثل المنافق كالشاة العائرة بين الغنمين تعير إلى هذه مرة وإلى هذه مرة**»[٢]، وقد كره الفقهاء مخالطة الفساق ورفع الكلفة معهم.

ولعل أوضح شيء في هذا الباب قوله عليه الصلاة والسلام لحذيفة عندما سأله إذا كثر الباطل وتعددت فرقه: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: «**تلزم جماعة المسلمين وإمامهم**»[٣].

قال فإن لم يكن للمسلمين جماعة ولا إمام؟ قال: «إعتزل تلك الفرق كلها (أي فرق الضلال) **ولو أن تعض على أصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك**» (فلا عزلة عن أهل الحق، والعزلة كل العزلة عن الضلال لأن من طبيعة النفس أنها تألف الأنس بالناس)[٤].

وعلى كل الأحوال فالعزلة إذا لم يكن فيها تضييع حق أو واجب فهي من باب المباحات حتى ولو لم يترتب عليها أي

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب البيوع باب السهولة في السماحة في الشراء والبيع ومن طلب حقًا فليطلبه في عفاف.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه أول كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ٤/ ٢١٤٦ ح (٢٧٨٤).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإمارة باب وجوب جماعة المسلمين عند ظهور الفتن وفي كل حال وتحريم مفارقة الجماعة.

(٤) تربيتنا الروحية سعيد حوى صـ١٢٢.

مصلحة، أما إذا ترتب عليها مصالح من إصلاح قلب أو تحصيل علم أو زيادة إيمان فإنها تنتقل من كونها مباحة إلى ما هو أرق من ذلك.

٢- الصمت:

وقد أفردنا الكثير من الكلام حول اللسان في الكتاب الثاني والثالث من هذه المجموعة[١].

وهناك أدركنا خطورة اللسان وفضيلة الصمت وذكرنا أيضًا آفات اللسان التي عددها أبو حامد الغزالي في الإحياء فوصلت عشرين آفة..

ونذكر هنا في المجاهدة أن اللسان لا بد أن يحفظ الإثم واللغو وأن ينطلق في الخير وبيانه.

(فاللسان هو أداة التعبير الأولى عن النفس، والنفس ميالة لأشياء كثيرة، واللسان أقرب الطرق للتعبير عن هذه الأشياء. وما أكثر الأشياء التي تميل إليها النفس، ولا يصح أن تظهر على اللسان:

النفس ميالة للفخر، وميالة للسباب والخصام إذا غضبت، وميالة للمسامرة حتى في اللغو، وميالة لانتقاص الآخرين،

(١) يراجع (متينة الخلق جزء ١، ٢).

وميالة لأن تشعر الآخرين بفضلها.

كل ذلك وأمثاله كثير مما لا ينبغي أن يعطي المسلم نفسه مداها فيه، وعليه أن يُعوِّد نفسه على ضبط لسانه في ذلك وأمثاله، ومقدمة ذلك كله التحكم في اللسان. ومقدمة التحكم في اللسان تعويد الإنسان نفسه على الصمت، ثم يتدرج مع نفسه حتى تعتاد على الكلام المنضبط. ومن لم يعود نفسه على الصمت صعب عليه أن يعتاد وزن كلماته قبل أن يتكلم)[1].

أحبوا السبع:

ألا يكفينا محفزًا لضبط اللسان قوله ﷺ: **«لولا تمرغ قلوبكم وتزيدكم في الحديث لسمعتم ما أسمع»**[2].

فالصمت مقدمة اللسان المنضبط.. وطريق لإصلاح القلب.. وركن لمجاهدة النفس.

ويقول ﷺ: **«لا يستقيم إيمان للعبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه..»**[3].

وقال ﷺ: **«إذا أصبح ابن آدم أصبحت الأعضاء كلها تُذَّكر اللسان أي تقول اتق الله فينا فإنك إن استقمت استقمنا وإن**

---

(١) تربيتنا الروحية سعيد حوى صـ١٢٥.
(٢) أخرجه أحمد في مسنده ٥/ ٢٦٦.
(٣) أخرجه أحمد في مسنده ٣/ ١٩٨.

اعوججت اعوججنا»[١].

وقال رسول الله ﷺ **«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليسكت»**[٢] وقال الحسن ذكر لنا أن النبي ﷺ قال: **«رحم الله عبدًا تكلم فغنم أو سكت فسلم»**[٣].

وقيل لعيسى عليه السلام: دلنا على عمل ندخل به الجنة. قال: لا تنطقوا أبدًا. قالوا: لا نستطيع ذلك. فقال: فلا تنطقوا إلا بخير.

وقال سليمان بن داود عليهما السلام: إن كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب.

وعن البراء بن عازب قال: جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال: دلني على عمل يدخلني الجنة قال: **«أطعم الجائع واسق الظمآن وأمر بالمعروف وانه عن المنكر فإن لم تطق فكف لسانك إلا من خير»**[٤].

وقال ﷺ **«اخزن لسانك إلا من خير فإنك بذلك تغلب الشيطان»**[٥].

---

(١) أخرجه الترمذي في جامعه كتاب الزهد باب حفظ اللسان.
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الرقائق باب حفظ اللسان.
(٣) مسند الشهاب للقضاعي ١/ ٣٣٨.
(٤) أخرجه ابن ماجه في صحيحه كتاب البر الإحسان باب ما جاء في الطاعات وثوابها.
(٥) أخرجه الطبراني في المعجم الصغير ٢/ ١٥٦.

وقال ﷺ: **«إن الله عند لسان كل قائل فليتق الله امرؤ علم ما يقول»** وقال ﷺ: **«الناس ثلاثة: غانم وسالم وشاحب»**[١].

فالغانم الذي يذكر الله تعالى والسالم الساكت والشاحب الذي يخوض في الباطل وقال ﷺ: **«إن لسان المؤمن وراء قلبه فإذا أراد أن يتكلم بشيء تدبره بقلبه ثم أمضاه بلسانه وإن لسان المنافق أمام قلبه فإذا هم بشيء أمضاه بلسانه ولم يتدبره بقلبه »**[٢].

وقال عيسى عليه السلام: العبادة عشرة أجزاء: تسعة منها في الصمت وجزء في الفرار من الناس وقال نبينا ﷺ: **«من كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه كثرت ذنوبه ومن كثرت ذنوبه كانت النار أولى به»**[٣].

وكان أبو بكر الصديق ﷺ يضع حصاة في فيه يمنع بها نفسه عن الكلام، وكان يشير إلى لسانه ويقول: هذا الذي أوردني الموارد.

وقال عبد الله بن مسعود: والله الذي لا إله إلا هو ما شيء أحوج إلى طول سجن من لسان.

وقال طاوس: لساني سبع إن أرسلته أكلني.

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ١٧/ ٣٠٣.
(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان٤/ ١٦٩.
(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط ٦/ ٣٢٨.

وقال وهب بن منبه: جاء في حكم داود عليه السلام: حق على العاقل أن يكون عارفًا بزمانه حافظًا للسانه مقبلاً على شانه.

وقال الحسن: ما عقل دينه من لم يحفظ لسانه.

وقال الأوزاعي: كتب إلينا عمر بن عبد العزيز- رحمه الله- أما بعد: فإن من أكثر ذكر الموت رضي من الدنيا باليسير ومن عد كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يعنيه.

وقال بعضهم: الصمت يجمع للرجل فضيلتين.

السلامة في دينه والفهم عن صاحبه.

وقال محمد بن واسع لمالك بن دينار: يا أبا يحيى حفظ اللسان أشد على الناس من حفظ الدينار والدرهم.

وقال الحسن: تكلم قوم عند معاوية -رحمه الله- والأحنف ابن قيس ساكت فقال له: مالك يا أبا بحر -لا تتكلم- فقال له: أخشى الله إن كذبت وأخشاك إن صدقت.

وقال ابن عمر: قال رسول الله ﷺ: «**من كف لسانه ستر الله عورته ومن ملك غضبه وقاه الله عذابه ومن اعتذر إلى الله قبل الله عذره**»[1]. وروي أن معاذ بن جبل قال: يا رسول الله أوصني. قال: «**اعبد الله كأنك تراه وعد نفسك في الموتى وإن شئت أنبأتك**

---

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٦/ ٣١٥.

بما هو أملك لك من هذا كله»[1] وأشار بيده إلى لسانه. وعن صفوان بن سليم قال: قال رسول الله ﷺ **«ألا أخبركم بأيسر العبادة وأهونها على البدن الصمت وحسن الخلق»**.

لسان الملوك:

وقال أبو بكر بن عياش: اجتمع أربعة ملوك: ملك الهند وملك الصين وكسرى وقيصر فقال أحدهم: أنا أندم على ما قلت ولا أندم على ما لم أقل.

وقال الآخر: إني إذا تكلمت بكلمة ملكتني ولم أملكها، وإذا لم أتكلم بها ملكتها ولم تملكني.

وقال الثالث: عجبت للمتكلم إن رجعت عليه كلمته ضرته وإن لم ترجع لم تنفعه.

وقال الرابع: أنا على رد ما لم أقل أقدر مني على رد ما قلت.

وقبل أن تعجبي أختي المسلمة من هذا الكم الهائل من النصوص حول الكلام وخطورته.. يكفينا قول الله تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨].

٣- السهر:

النوم من الجوانب التي يتطرق إليها الإفراط ويحسب على

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ٢٠/ ١٧٥.

المسلم كنوع من المجاهدة أن يضبط نومه.. ويؤدي الإفراط فيه إلى التفريط في واجبات وفروض وسنن وأن يفوته خير كثير.

فيضيع الفجر الواجب بالنوم.. ويضيع خير السحر بالنوم... ويضيع التهجد والنافلة بالنوم.. وقد تضيع صلاة العشاء في جماعة بالنوم... وقد يضيع العصر بالنوم.

وإن لليل في الإسلام لشأنًا خاصًا. قال تعالى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلاً﴾ [المزمل: ٦].

فأن ينشئ الإنسان عبادة في الليل فذلك ثقيل عليه، وله بذلك أجر، وإن لعبادة الليل من الصفاء ما ليس لغيرها ومن التأثير في النفس ما ليس لغيرها.

ومن الفهم للمعاني ما ليس لغيرها، وقد جاءت هذه الآية في سياق قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ۞ قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً ۞ نِصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً ۞ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً ۞ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلا ثَقِيلاً ۞ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلاً ۞ إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلاً ۞ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً﴾[المزمل: ١ - ٨].

هل تأكدت الآن أن لليل شأنًا.

ومن مظاهر هذا الشأن ما نجده في الأحاديث التالية: «قيل يا رسول الله: أي الدعاء أسمع؟ قال: «جوف الليل الآخر، ودبر

الصلوات المكتوبات»[١].

وعن رسول الله ﷺ: «ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر» فيقول: «من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفر فأغفر له»[٢].

وإن لقيام الليل في الإسلام شأنًا، وكذلك للدعاء والاستغفار في الثلث الآخر من الليل، وكذلك لصلاة العشاء وصلاة الفجر في جماعة وكذلك لأوراد ما بعد الفجر ويقول ﷺ: «من صلى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل، ومن صلى الفجر في جماعة فكأنما صلى الليل كله» «إن هاتين الصلاتين- الصبح والعشاء- أثقل الصلاة على المنافقين ولو تعلمون ما فيهما لأتيتموها ولو حبوًا على الركب»[٣].

«من صلى الفجر في جماعة ثم قعد يذكر الله حتى تطلع الشمس، ثم صلى ركعتين كان له كأجر حجة وعمرة تامة تامة»[٤].

---

(١) أخرجه البيهقي في سننه الكبرى كتاب جماع أبواب صلاة التطوع باب الترغيب في قيام جوف الليل الآخر.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب أبواب التهجد باب الدعاء والصلاة من آخر الليل، ومسلم في صحيحه كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب الترغيب في الدعاء والذكر آخر الليل.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الأذان باب الاستهام في الآذان ومسلم في صحيحه كتاب الصلاة باب تسوية الصفوف وإقامتها وفضل الأول.

(٤) أخرجه الترمذي في جامعه كتاب أبواب السفر باب ذكر ما يستحب من الخلوي في المسجد بعد صلاة الصبح حتى تطلع الشمس.

ويروى أن المسيح عليه السلام قال: خلقان أكرههما: النوم من غير سهر، والضحك من غير عجب. وقال داود لابنه سليمان عليهما السلام: إياك وكثرة النوم فإنه يفقرك إذا احتاج الناس إلى أعمالهم.

وقال لقمان لابنه: يا بني إياك وكثرة النوم والكسل والضجر، فإنك إذا كسلت لم تؤد حقًا، وإذا ضجرت لم تصبر على حق.

وقالت أم سليمان عليه السلام له: يا بني لا تكثر من النوم فإن النوام يجيء يوم القيامة مفلسًا.

٤- الجوع:

«**ما ملأ ابن آدم وعاء شر من بطنه**»[١].. هكذا لخص ﷺ في هذه الحكمة البالغة موضوع الشبع والجوع..

من العبادات المفروضة (الصوم) الذي هو تدريب على الجوع.. ونجد الصوم وسيلة من وسائل تربية النفس وتهذيبها يقول ﷺ: «**أخضعوا أنفسكم بالجوع وأظمئوها**»[٢]..

ويقدم ﷺ الصوم دواءً للشاب الذي لا يجد زواجًا واستعرت شهوته فأقلقته.. يقول ﷺ: «**يا معشر الشباب من**

(١) أخرجه الترمذي في جامعه كتاب الزهد باب كراهية كثرة الأكل.
(٢) حلية الأولياء للأصبهاني ٢/ ٣٧٠.

استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء»[1].

وقد ضبط الله سبحانه وتعالى قضية الطعام في قوله ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلاَ تُسْرِفُوا إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١].

وإن كان الأكل والشرب حتى الشبع من المباحات فإن ميل الإسلام إلى التقليل منهما لما يترتب عليهما من نتائج.
فيقول ﷺ: **«بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه...»**[2].

تلك هي الأركان الأربعة للمجاهدة: العزلة والصمت والسهر والجوع.

ومن الملاحظ أن لهذه الأركان الأربعة صلة بعضها ببعض: فمن شبع كثيرًا احتاج إلى النوم الكثير، ومن لم يجاهد نفسه بالصمت قد يضيع عليه قيام الليل ودعاء السحر، والعزلة تساعد على التحكم في قضايا السهر والصمت والجوع.

* * *

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الصوم باب الصوم لمن خاف على نفسه العزوبة.
(٢) أخرجه الترمذي في جامعه كتاب الزهد باب كراهية كثرة الأكل.



ولا بد للمجاهدة من عدة وأدوات وسلاح حتى تنجح وتأتي بنتائجها.. وأهم عدة وأدوات وسلاح للمجاهدة:

١- الصبر:

فمن صبر على جهاد نفسه وهواه وشيطانه غلبهم وكان له النصر والغلبة، وملك نفسه فصار ملكًا عزيزًا، ومن جزع ولم يصبر على مجاهدة ذلك غُلب وقُهر وأُسر، وصار عبدًا ذليلاً أسيرًا في يد شيطانه وهواه كما قيل:

إذا المرء لم يغلب هواه أقامه
بمنزلةٍ فيها العزيز ذليلُ

كان زياد بن أبي زياد- مولى بن عياش- يخاصم نفسه إذا راودته على الخروج من المسجد يقول: أين تريدين؟ أين تذهبين؟ أتخرجين إلى أحسن من هذا المسجد؟ انظري إلى ما فيه، تريدين أن تبصري دار فلان ودار فلان.

وكان يقول لنفسه: ما لك من الطعام غير هذا الخبز والزيت، وما لك من الثياب غير هذين الثوبين، وما لك من النساء غير هذه العجوز.

وانظري إلى مالك بن دينار رحمه الله، وهو يطوف في السوق، فإذا رأى الشيء يشتهيه قال لنفسه: اصبري؛ فوالله ما أمنعك إلا من كرامتك عليَّ.

٢- الدعاء:

ومن دعاء المؤمنين: ﴿رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨].

وكان ﷺ يدعو: «**اللهم آت نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكاها**»[١].

٣- السجود:

عن ربيعة الأسلمي ؓ قال: كنت أبيت مع رسول الله ﷺ، فأتيته بوضوئه وحاجته، فقال لي: «**سل**». فقلت: أسألك مرافقتك في الجنة. قال: «**أو غير ذلك؟**» قلت: هو ذاك. قال: «**فأعني على نفسك بكثرة السجود**»[٢].

٤- اليقظة:

وذلك مع النفس وإدراك أنها أمارة بالسوء كما بين الله تعالى

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل.

(٢) أخرجه مسلم كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب فضل السجود والحث عليه.

﴿إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّي﴾ [يوسف: ٥٣] وكان من وصايا أبي بكر لعمر حين استخلفه (إن أول ما أحذرك منه نفسك التي بين جنبيك).

٥- المعاقبة:

وكان الصالحون يكافئون النفس إذا أطاعت ويعاقبونها إذا قصرت.. ولم يكن العقاب إلا شكلاً من أشكال زيادة الطاعة حتى تدرك النفس أنه لا سبيل أمامها إلا هذا.. فبمرور الوقت تعتاد الطاعة بل وتلذ بها وتكون عليها أسهل.

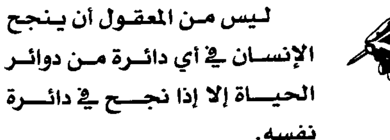
فقد عاقب عمر بن الخطاب نفسه حين فاتته صلاة العصر في جماعة بأرض كانت له.

وكان ابن عمر إذا فاتته صلاة في جماعة أحيا تلك الليلة قيامًا لله تعالى.

ورأيت بعض الصالحين من الشباب إذا فاتته صلاة الفجر في الجماعة يصوم ذلك اليوم بعدها.

أختي المسلمة:





والنفس إما أن تأمر بالفحشاء وإما أن تلوم على المنكر وإما مطمئنة لربها راجعة إلى هداه في كل أمر من أمورها فتنادي يوم القيامة: ﴿**يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ۞ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ۞ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ۞ وَادْخُلِي جَنَّتِي**﴾ [الفجر: ٢٧- ٣٠].

وحتى تتدرجين بنفسك من مستوى الأمر بالسوء إلى النفس المطمئنة مرورًا باللوامة فعليك بمجاهدة هذه النفس ففيها العلاج.

﴿**وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۞ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۞ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۞ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا**﴾ [الشمس: ٧- ١٠].

وكل خطوة من خطوات المجاهدة هي خطوة إلى الله... وما أعظمها من خطوات.

روى البخاري عن أنس أن النبي ﷺ قال فيما يرويه عن ربه: «**إذا تقرب العبد إلي شبرًا تقربت إليه ذراعًا وإذا تقرب إلي ذراعًا تقربت منه باعًا وإذا أتاني يمشي أتيته هرولة**»[١].

وعلى أساس أن خير الأعمال أدومها وإن قل فإننا نختار لك في هذا الكتاب صفات ثلاثة إذا تمسكت بها تكونين قد خطوت أولى خطواتك في طريق مجاهدة النفس:

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب التوحيد باب ذكر النبي ﷺ وروايته عن ربه.

وهذه الصفات الثلاثة هي:

١- تصبرين على الطاعات.

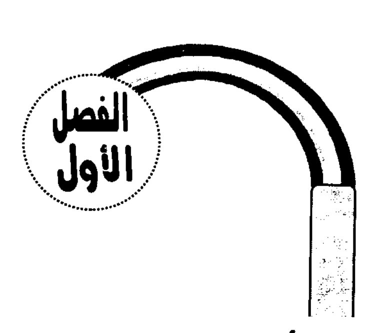
٢- تجتهدين في كتم السر.

٣- تجاهدين الوسوسة.

والأولى والثانية تدخلان في مجاهدة النفس أما الثالثة فهي معركتك مع الشيطان، فهيا نتعاون حتى نصل إلى نفس مطمئنة وشيطان مهزوم.

واذكرك أختي المسلمة أن خطتنا في هذا الكتاب هي نفس ما نسجنا عليه الكتب السبعة السابقة أن نقدم لك صفات تؤهلك للصفة التي يدعو إليها الكتاب، ونقدم تحت كل صفة بعض المظاهر لها والتي بتمسكك بمجموع تلك المظاهر نضع قدمك على طريق صفات المرأة المسلمة... وقد رسمنا لك خريطة صفات ست سابقة وهي أن تكوني قويه الجسم، متينة الخلق، مثقفة الفكر، قادرة على الكسب وأن تكوني سليمة العقيدة، صحيحة العبادة... وبإتمامك دارسة هذا الكتاب ومحاولتك تطبيق ما ورد فيه من مظاهر تكتمل لك الصفة السابعة أن تكوني مجاهدة لنفسك.

* * *



شراب الأرواح



﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤].





تصبرين على الطاعات



طاعة الله تعالى فيها لذة وسعادة يشعر بها الذين ألفوها، ولكن الله يختبرنا بطاعته أحيانًا ويكتب علينا ما تأباه نفوسنا وما يخالف هواها كما يقول تعالى:

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦].

ولأن الإنسان لا يدرك ما في الطاعة من رحيق وشراب تلذ به الأرواح فإن الله تعالى ييسرها علينا بكل السبل ويقربها لنا حتى نقوى على مجاهدة نفوسنا عليها.

ومثال ذلك عندما فرض علينا سبحانه وتعالى الصيام.. قال: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٣]. فلستم بدعًا من الأمم.

ثم بين فوائده وأهدافه ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾..

وبين التيسير فيه بفطر المريض والحامل والمسافر وقضاء من يقوى على القضاء وأحكام من لم يقدر على الصوم.. وأن يحل لنا الطعام ومعاشرة الأزواج من المغرب حتى الفجر...

ثم يختم سبحانه وتعالى كل ذلك ويبين قاعدة أساسية من قواعد الشرع ومقصدًا من مقاصد التشريع وهو التيسير: ﴿يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ١٨٥].



والصبر على الطاعة يضاعف الثواب ويجزل العطاء ويجلب مرضاة الله تعالى.

روى البخاري عن النبي ﷺ: «**الذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه له أجران، أجر القراءة وأجر التعتعة**»[١].

كما أن الصبر على الطاعة يورث لذتها وحبها والانسجام فيها حتى تكون جزءًا من حياة صاحبها، يقول محمد بن سيرين (نحن في جنة لو علمها الملوك لجالدونا عليها بالسيوف) يقصد جنة الطاعة[٢].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب التفسير باب سورة عبس ومسلم في صحيحه كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب فضل الماهر بالقرآن والذي يتتعتع فيه.

(٢) راجعي الكتاب السابع من هذه المجموعة حول صفة (صحيحة العبادة).

منازل الطائعين:

يبين الإمام الهروي أن من منازل السائرين (الصبر على الطاعة).

بالمحافظة عليها دومًا.

وبرعايتها إخلاصًا.

وبتحسينها علمًا[١].

فهذه منازل ثلاثة إذا نزلها العبد استكمل هذه الصفة: الصبر على الطاعة.

يقول ابن القيم:

فإن الطاعة تختلف بـ فوات واحد من هذه الثلاثة. فإن العبد إن لم يحافظ عليها دومًا عطلها، وإن حافظ عليه دومًا عرضت لها آفتان:

إحداهما: ترك الإخلاص فيها. بأن يكون الباعث عليها غير وجه الله، وإرادته والتقرب إليه. فحفظها من هذه الآفة برعاية الإخلاص.

الثانية: ألا تكون مطابقة للعلم، بحيث لا تكون على اتباع السنة. فحفظها من هذه الآفة: بتحسينها علمًا.

---

(١) مدارج السالكين لابن القيم ج ٢/ ١٦٥.

وقد بين الإمام الغزالي العلاقة بين الصبر والإيمان.. وأن كل منهما يحتاج الآخر، وذلك من قول رسول الله ﷺ: «**الصبر نصف الإيمان**» ولما سئل ﷺ، عن الإيمان قال: «**الصبر**»[(١)].

ومن علامات الإيمان التي ارتضاها رسول الله ﷺ على من رضى الله عليهم قولهم: «**نصبر على البلاء**»[(٢)].

وفي رسالة عمر بن الخطاب ﷺ إلى أبي موسى الأشعري قال: عليك بالصبر واعلم أن الصبر صبران: أحدهما أفضل من الآخر. الصبر في المصيبات حسن وأفضل منه الصبر عما حرم الله تعالى.

وقال أبو الدرداء: ذروة الإيمان الصبر للحكم والرضا بالقدر.

واحتياج الإنسان للصبر على الطاعات لأنه ليس ملاكًا لا يعرف لذة المعاصي وإنما هو يعرفها وتهوى إليها النفس وهنا تحدث المجاهدة والتي سلاحها الصبر.

يقول أبو حامد[(٣)]:

من علامات مجاهدة النفس:

١ – الصبر على الطاعات.

٢ – الصبر عن المعاصي.

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ٩/ ١٠٤.
(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط ٩/ ١٦٣.
(٣) في كتاب إحياء علوم الدين ج ٥ ص ٤٣٢.

ومن النماذج القرآنية للصبر على الطاعات:

إسماعيل عليه السلام عندما كان رده على أبيه لما أعلمه بأمر الله له أن اذبح ابنك: ﴿يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ [الصافات: ١٠٢].

ومن النماذج القرآنية على الصبر عن المعاصي:

يوسف الصديق عليه السلام عندما: ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ﴾ [يوسف: ٣٣]، من أن يأتي بفاحشة الزنا.

الحالة الأولى: الورع:

وهو بداية الصبر على الطاعات وعن المعاصي.

أما جزاء الصابرين فعجيب ألا نستشعر ذلك من قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ﴾ [الزمر: ١٠].

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٢].

وذلك من الصبر الشديد عند من يعرف حقيقة النية والإخلاص وآفات الرياء ومكايد النفس.

وقد نبه ﷺ على ذلك إذ قال: «**إنما الأعمال بالنيات وإنما**

لكل امرئ ما نوى»(١) وقال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة: ٥]، ولهذا قدم الله تعالى الصبر على العمل فقال تعالى: ﴿إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [هود: ١١].

الحالة الثانية: حالة إتمام العمل:

١- العمل كي لا يغفل عن الله في أثناء عمله.

٢- ولا يتكاسل عن تحقيق آدابه وسننه.

٣- ويدوم على شرط الأدب إلى آخر العمل حتى بداية العمل التالي، فيلازم الصبر عن دواعى الفتور إلى الفراغ .

وهذا أيضًا من شدائد الصبر ولعله المراد بقوله تعالى: ﴿نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ۝ الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ [العنكبوت: ٥٨، ٥٩]، أي اصبروا إلى تمام العمل.

الحالة الثالثة: بعد الفراغ من العمل إذ يحتاج إلى:

١- الصبر عن إفشائه والتظاهر به للسمعة والرياء.

٢- والصبر عن النظر إليه بعين العجب وعن كل ما يبطل عمله ويحبط أثره.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في المقدمة باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ.

كما قال تعالى: ﴿وَلاَ تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾ [محمد: ٣٣] وكما قال تعالى: ﴿لاَ تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَى﴾ [البقرة: ٢٦٤] فمن لا يصبر بعد الصدقة عن المن والأذى فقد أبطل عمله.

والطاعات تنقسم إلى فرض ونفل وهو محتاج إلى الصبر عليهما جميعًا وقد جمعهما الله تعالى في قوله: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى﴾[النحل: ٩٠] فالعدل هو الفرض والإحسان هو النفل وإيتاء ذي القربى هو المروءة وصلة الرحم.

وكل ذلك يحتاج إلى صبر

الصبر عن المعصية

فما أحوج العبد إلى الصبر عنها وقد جمع الله تعالى أنواع المعاصي في قوله تعالى: ﴿وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ﴾ [النحل: ٩٠] وقال ﷺ: «**المهاجر من هجر السوء والمجاهد من جاهد هواه**» والمعاصي مقتضى باعث الهوى.

وأشد أنواع الصبر: الصبر عن المعاصي التي صارت مألوفة بالعادة، فإذا انضافت العادة إلى الشهوة تظاهر جندان من جنود الشيطان على جند الله تعالى فلا يقوى باعث الدين على قمعهما ثم إن كان لك الفعل مما تيسر فعله كان الصبر عنه أثقل على النفس كالصبر عن معاصي اللسان من الغيبة والكذب والمراء والثناء على النفس تعريضًا وتصريحًا وأنواع المزاح المؤذي للقلوب وضروب الكلمات التي يقصد بها الإزراء والاستحقار

وذكر الموتى والقدح فيهم وفي علومهم وسيرهم ومناصبهم، فإن ذلك في ظاهره غيبة وفي باطنه ثناء على النفس. فللنفس فيه شهوتان: إحداهما نفي الغير والأخرى إثبات نفسه.

وهكذا فإن أمثال معاصي اللسان تجتمع فيها العوامل الثلاثة التي تجعل الصبر عنها صعبًا (الشهوة والعادة والتيسير)، حتى بطل استنكارها واستقباحها من القلوب لكثرة تكريرها وعموم الأنس بها، فترى الإنسان يحزن إذا فاتته صلاة الجماعة، ولكنه مثلاً يطلق لسانه طول النهار في أعراض الناس ولا يستنكر ذلك مع ما ورد في الخبر من أن الغيبة أشد الزنا.

ومن لم يملك لسانه في المحاورات ولم يقدر على الصبر عن ذلك فيجب عليه العزلة والانفراد فلا ينجيه غيره فالصبر على الانفراد أهون من الصبر على السكوت مع المخالطة.

وأيسر من حركة اللسان حركة الخواطر باختلاف الوساوس فلا جرم يبقى حديث النفس حتى في العزلة ولا يمكن الصبر عنه أصلاً إلا بأن يغلب على القلب هم آخر في الدين يستغرقه كمن أصبح هو وهمومه همًّا واحدًا وإلا فإن لم يستعمل الفكر في شيء مهم لم يتصور فتور الوسواس عنه[1].

ولذلك يقول ﷺ: «من جعل الهموم همًّا تشبثت به الهموم لم

(١) راجع إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي ج ٥، ص ٤٣٢ وما بعدها.

يابالِ الله في أي أودية الدنيا هلك»[1].

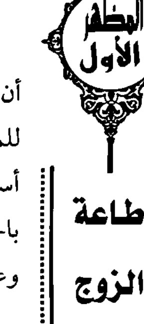
وهكذا.. بالصبر على الطاعات والصبر عن المعاصي تكتمل لك صفتك الأولى من صفات مجاهدة النفس.. وحتى تبدئي السير العملي نرصد لك مظهرين يجب أن تسعي للتحلي بهما حتى تكتمل تلك الصفة -الصبر على الطاعات- وهما:

١- طاعة الزوج.

٢- مداومة الصوم.

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك كتاب التفسير باب تفسير حم عسق.



طاعة الزوج

نعم فإن من مظاهر الصبر على الطاعة أن يطيع الإنسان ولي أمره وإن كان ولي الأمر للمرأة أصلاً هو الأب فإن طاعتك إياه تنبع أساسًا من الإحساس بالأبوة والاعتراف بالجميل والشعور بقيادته لك ورحمته لك وعطائه المستمر.

ولكن عندما تنتقل هذه الولاية إلى الزوج تتولد مشكلة رهيبة في قلب كثير من النساء وهي تتلخص في السلوكيات التالية:

١- الكبر على طاعة الزوج والشعور بأنها شيء زائد على الحد.

٢- والتململ عند أداء أي أمر من أوامره.

٣- ومغالبة عشرات الشياطين حتى تطيع زوجها!!..

في البداية أقول لك: إن قضية الصراع بين المرأة والرجل قضية مفتعلة، بل وتدل غالبًا على عدم شعور المرأة بجلال كونها امرأة فالمرأة التي تقول أنا مثل الرجل نسألها سؤالاً

واحدًا: هل سمعت عن رجل قال أنا مثل المرأة؟!! هو قد اعتذر برجولته بكل ما فيها بما عليها من واجبات وبما لها من حقوق فعليك أن تعتزي بكونك امرأة بكل ما فيها وبما عليها من واجبات وبما لها من حقوق.

*** إلا أن يأمر بمعصية:**

وقضية الطاعة لولاة الأمور عامة قائمة على قانون أساسي وهو (لا طاعة لمخلوق في معصية الله) عن ابن عمر ﷺ عن النبي ﷺ: قال «**على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره إلا أن يؤمر بمعصية فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة**»[1].

يقول تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً**﴾[النساء: ٥٩].

فطاعة ولي الأمر ترد دائمًا إلى طاعة الله ورسوله التي هي أصل الطاعة والحكم عند التنازع مع ولي الأمر ونحن وأولياء أمورنا تحكمنا طاعة الله ورسوله.

روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال:

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإمارة باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية.

«من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن يطع الأمير فقد أطاعني ومن يعص الأمير فقد عصاني»[١].

فأولو الأمر الذي تقصده الآية داخل البيت، والأمير في ذلك البيت الذي عناه الرسول ﷺ في حديثه هو الزوج، وذلك بنص قوله سبحانه وتعالى: **﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللهُ﴾** [النساء: ٣٤].

يقول ابن كثير: «الصالحات أي من النساء (قَانِتَاتٌ) قال ابن عباس: يعني مطيعات لأزواجهن (حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ) أي تحفظ زوجها في نفسها وماله»[٢].

وعن عائشة (رضي الله عنها) قالت: **«سألت رسول الله ﷺ أي الناس أعظم حقًا على المرأة؟ قال: زوجها. قلت: فأي الناس أعظم حقًا على الرجل؟ قال: أمه»**[٣].

هكذا، تكليف للمرأة بوفاء حق الزوج وهو رجل، وتكليف للرجل بوفاء حق الأم وهي امرأة.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الجهاد والسير باب يقاتل من وراء الإمام ويتقي به، ومسلم في صحيحه كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية.

(٢) تفسير ابن كثير ج ٢ ص ١٧٧.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك أول كتاب البر والصلة ٤/ ١٦٧ ح (٧٢٤٤).

فالحقوق هنا ليست لجنس الرجل أو لجنس المرأة وإنما هي لموقع كل منهما ومكانه.

وعن حصين بن محصن ﷺ أن عمة له أتت النبي ﷺ فقال لها: «**أذات زوج أنت؟** قالت: نعم. قال: **فأين أنت منه؟** قالت: ما آلوه إلا ما عجزت عنه قال: **فكيف أنت له؟ فإنه جنتك ونارك**»[١].

ومعنى ما آلوه أي لا أمتنع أن أفعل معه كل شيء يحبه إلا إذا عجزت عنه.

وعن أم سلمة زوج النبي ﷺ قالت: قال رسول الله ﷺ: «**أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة**»[٢].

وقال ﷺ: «**إذا دعا الرجل زوجته لحاجته فلتأته وإن كانت على التنور**»[٣] أي الذي يخبز فيه.

وافدة النساء:

روى ابن عباس (رضي الله عنهما) أن «أسماء بنت يزيد الأنصاري (رضي الله عنها) أتت إلى النبي ﷺ، وهو بين أصحابه فقالت: يا رسول الله، إني وافدة النساء إليك، إن الله بعثك بالحق

(١) أخرجه أحمد في مسنده ٦/ ٤١٩.
(٢) أخرجه الترمذي في جامعه كتاب الرضاع باب حق الزوج على المرأة.
(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ٨/ ٣٣١.

للرجال والنساء، فآمنا بك واتبعناك، وإنا -معشر النساء- محصورات، قواعد بيوتكم، ومقتضى شهواتكم، وحاملات أولادكم، وأنتم- معشر الرجال- فضلتم علينا بالجُمَع والجماعات، وعيادة المرضى، وشهادة الجنائز، والحج بعد الحج، وأفضل من ذلك الجهاد في سبيل الله عز وجل، وإن الرجل إذا خرج حاجًّا أو معتمرًا أو مرابطًا حفظنا لكم أموالكم، وغزلنا لكم أثوابكم، وربينا لكم أولادكم، أفما نشارككم في هذا الخير والأجر يا رسول الله؟ فالتفت النبي ﷺ بوجهه كله إلى أصحابه ثم قال: **هل سمعتم مقالة امرأة قط أحسن من مسألتها في أمر دينها؟** فقالوا: **يا رسول الله، ما ظننا امرأة تهتدي إلى مثل هذا.** فالتفت النبي إليها ثم قال: **انصرفي أيتها المرأة، وأعلمي من خلفك من النساء أن طاعة الزوج- اعترافًا بحقه- يعدل ذلك كله، وقليل منكن من يفعله** [(١)].



وهنا أختي المسلمة تبدو مجاهدة النفس في الصبر على مثل هذه الطاعة ان تكون طوع أمر زوجك وأن لا تنظري إليه نظرة الندية، وعندها تذكري قولة المرأة الصالحة توصي ابنتها عند زواجها قالت: «كوني له أمة يكن لك عبدًا، وكوني له ارضًا يكن لك سماءً».

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٦/ ٣٨٩.

ولا أحب أن أترك هذا الأمر هكذا فقد تفهم القضية أن العلاقة الزوجية مجرد أمر ونهي، مجرد سمع وطاعة، مجرد قائد وجندي، أو مدير وموظف أو شيء من هذا القبيل.

نعم في بعض الأحيان لا بد من رأي أخير فليكن للزوج إن يكون هناك حسم في مسألة فليكن للزوج.

ولكن تعالى مع الشيخ عبد الحليم أبو شقة لنرى كيف تكون طاعة الزوج لزوجها في ظلال وارفة من الحب والمودة والرحمة، وليتعلم أولئك الغلاظ الشداد كيف تعامل الزوجة ولتتعلم تلكن الخشنات الصعاب كيف يعامل الزوج[1]:

الإطار العام لأداء الحقوق:

قال الله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[الروم: ٢٠].

وهذا يعني أداء الحقوق الزوجية في إطار من المودة أي الحب فإن ضعفت المودة تبقى الحقوق في إطار من الرحمة أي التعاطف والوفاء للعشرة.

ثم يبين أن مسئولية الرجل في الأسرة هي القوامة على

---

(١) راجعي كتابه الموسوعي الضخم (تحرير المرأة في عصر الرسالة) دار القلم؛ بيروت، ١٩٨٦م.

الأسرة، وأن التعاون بين الزوجين من أجل كمال أداء مسئولية القوامة يتمثل في ثلاثة حقوق وواجبات متبادلة:

أ) طاعة المرأة زوجها.

ب) التشاور بين الزوجين.

جـ) نيابة المرأة عن زوجها في إدارة الأسرة حال غيابه.

ويقول:

ومن آداب الطاعة هنا أن تكون نابعة من القلب أي مع الرضا والحب وأن تكون في حدود المعروف لا تتعداه. فالرسول ﷺ يقول: «**لا طاعة في معصية الله إنما الطاعة في المعروف**»[1].

وهكذا بحكمة من الرجل وتعاون من المرأة تمضي سفينة الأسرة رُخاء دون أي شعور بسطوة القوامة إنما هو شعور بالرفقة الصالحة المعينة.

والحـــب:

وأمر آخر نحسبه عورة من العورات فنستره، أو عيبًا من العيوب فنخفيه، **هو الحب**، فتعلموا معشر الأزواج وتعلمن معشر الزوجات فن الحياة الزوجية حتى لا يكون أمر الله بطاعة

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإمارة باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية.

الزوج مدخلاً من مداخل الشياطين للرجل والمرأة:

حب خديجة لرسول الله ﷺ:

روى البخاري ومسلم عن عائشة في قصة الوحي لما قال لها رسول الله ﷺ: «**لقد خشيت على نفسي**»[١].

قالت خديجة: كلا والله ما يخزيك الله أبدًا، إنك لتصل الرحم وتحمل الكلَّ وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق.

فانطلقت به خديجة حتى أتت به ابن عمها ورقة بن نوفل.

ويبدو حبها (رضي الله عنها) له ﷺ في أنها أحسنت استقباله، وواسته بكلام جميل، وذكرت محاسنه ثم انطلقت تسعى له لتطمئنه.

حب عائشة لرسول الله ﷺ:

روى البخاري ومسلم عن عائشة (رضي الله عنها) قال لي رسول الله ﷺ: «**إني أعلم يا عائشة إن كنت غاضبة مني أو راضية**»، قالت: كيف ذلك يا رسول الله؟ قال: «**أما إذا كنت عني راضية فإنك تقولين لا ورب محمد، وإذا كنت غاضبة قلت**

---

(١) أخرجه البخاري في المقدمة باب كيف بدء الوحي ومسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ.

لا ورب إبراهيم»[١]، قلت أجل والله يا رسول الله ما أهجر إلا اسمك» فكأنها تقول له إن حبك في القلب لا يبدله غضب.

حب زينب بنت رسول الله ﷺ لزوجها:

روى أبو داود أن زينب بعثت إلى المدينة في فداء زوجها -أي العاص وكان كافرًا أسر في بدر- بمال فيه قلادة أهدتها إليها أمها خديجة فرق لها النبي رقة شديدة فشرط عليه النبي أن يرسلها إليه فأرسلها فقال عنه النبي ﷺ مادحًا: «وعدني فوفى لي».

ولما أسر مرة أخرى بعد أن أرسلها إلى المدينة دخل عليها فاستجار بها، فنادت في صلاة الفجر بعد الصلاة بأعلى صوتها، إني قد أجرت أبا العاص بن الربيع، وأقرها النبي ﷺ وأمرها ألا يقربها فهي لا تحل له، ورجع العاص إلى مكة فأدى إلى كل ذي حق حقه ثم أسلم ورجع إلى المدينة مسلمًا مهاجرًا فرد النبي ﷺ علية زينب[٢].

*** حب وموافقة ثم طاعة:**

يقول الشيخ أحمد القطان تحت عنوان «بكيت أو تباكيت»

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب النكاح باب غيرة النساء ووجدهم، ومسلم في صحيحه كتاب فضائل الصحابة باب من فضل عائشة رضي الله عنها.

(٢) راجعي قصتهما جميعًا في أروع قصة حب بين زوجين في كتاب «أوراق الورد وأشواكه في بيوتنا» المجموعة الأولى للمؤلف.

من كتاب الزوجة: كثيرًا ما نقرأ في السيرة العطرة أن تقول امرأة لزوجها عندما تشاهده يبكي: أخبرني بما يبكيك، فإن كان يبكي بكيت وإلا تباكيت.

هذه هي المشاركة الوجدانية التي يجب أن تكون عليها الزوجة الناجحة، إنها تتألم لألم زوجها وتفرح لفرحه حتى ولو كان ذلك تصنعًا.

إنها قرأت في عينيه ما يدور في قلبه، فاقتربت منه بهدوء وجلست بين يديه بخضوع وسكينة وأمسكت بإحدى يديه برقة ونعومة، وتسارقه النظر وقد اغرورقت عيناها بدمعتين كاللؤلؤ الرطب، وعلى فمها ابتسامة حنونة.

حتى إذا انتهى من شكواه وهي له منصتة تقول له بهدوء: إنها معه وأن الصبر عواقبه حميدة، وتدنو من وجهه وتخبره أن الدنيا لا تساوي عند الله جناح بعوضة، وتقترب منه أكثر مع ابتسامة عريضة مشرقة، وتنظر إلى وجهه بانشراح وتقول له من بين ابتسامتها إن الله مع الصابرين، والعاقبة للمتقين، فتحيي سنة مهجورة كانت الصحابيات يفعلنها يوم أن كان القرآن ربيع القلوب.

فبالحب تطيب الطاعة
«إن المحب لمن يحب مطيع».

وإن لم يكن حب فرحمة، وصبر على طاعة الله الذي أمر بطاعة الزوج، أرأيت أن من مجاهدة النفس أن تطيعي ولي أمرك دون مراجعة.

الطاعة والخضوع

سألتني إحدى بناتي[1] عن معنى طاعة الزوجة لزوجها، وقالت في شبه غضب: لماذا تخضع الزوجة لزوجها. أليس في ذلك إهدار لكرامتها؟! وإذا كانت العلاقة علاقة خضوع فأين الشورى التي هي أساس أي علاقة إنسانية صحيحة؟!

قلت لها بهدوء: يا بنيتي إن المشكلة ليست في طاعة أحد الطرفين للآخر.. وإنما المشكلة في توصيف هذه الطاعة إن سؤالك نفسه يدل على أنك تسألين عن شيء آخر غير طاعة المرأة لزوجها التي أمرها بها الله ورسوله ﷺ.

إن توصيفك طاعة المرأة تلك لزوجها بالخضوع أدخلك في تراكم منطقي لما بعد الخضوع وهو إهدار الكرامة.. وتصورت حالة ملازمة لتلك الطاعة وهي فقدان الشورى التي هي أساس كل علاقة إنسانية صحيحة.

---

(١) ممن يلجأن إليَّ في استشارات زوجية.

وإن كنت صدقت في وصف الشورى إلا أن كل هذه التصورات لا علاقة لها بالطاعة التي أمر الله بها..

والدليل المبدئي على ذلك أن الله ضمن كرامة المرأة الكاملة وساوى أداء حقوقها بأداء حقوق الرجل تمامًا حين قال: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

وهذه الدرجة هي تلك التي أعطاها الله للزوج والتي تتمثل في الطاعة التي سنتحدث عن معناها بعد قليل.

كما أن الله أمر بالتشاور في أدق خصائص البيت وهو رضاع الطفل أو فطامه (فصاله) فقال تعالى: ﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالاً عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوا أَوْلاَدَكُمْ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾[البقرة: ٢٣٣].

والأعجب أن هذا التوجيه للشورى بين الزوجين جاء في حالة إلغاء العلاقة الزوجية بالطلاق فما بالنا والعلاقة قائمة.

يا بنيتي إن التعبئة الذهنية المستمرة من أدبيات الدفاع عن حقوق المرأة الضائعة والتي تدور حول ظلم المرأة المستمر هو السبب الرئيسي في إحداث فجوة هائلة بين معنى طاعة الزوجة لزوجها كما أراد الله وبين معناها في أذهان النساء.

وكلمات مثل خضوع المرأة، وتسليم حريتها لزوجها،

وإعطاء نفسها بالكامل، والخضوع للزوج بلا شعور بالهزيمة والاستسلام.. هي التي حولت معنى الطاعة التي تأتيها المرأة رغبة في الاستجابة لأوامر الله وإدراكًا أن البيت لا يسير إلا بها إلى سلب الحرية والخضوع لرجل وخاصة إذا كان الرجل لا يستحق مثل هذا الخضوع لصفات سيئة فيه، وعلى هذا نجد بعض النساء تضع قائمة طويلة لصفات الرجل الذي يستحق هذا الخضوع أو تلك الطاعة.

أن يكون رجلاً طيبًا محبًا صادقًا شريفًا شجاعًا أمينًا مخلصًا كريمًا... يحترم حرية المرأة، ويكون مسئولاً عنها مقدرًا لضعفها متجاوزًا عن هفواتها غافرًا زلاتها.. وهذه المسئولية تحتاج إلى نضج وتوازن نفسي وقوة إيمان وشجاعة واقتدار...

نعم هذه بعض الصفات التي رصدتها النساء لتعطي المرأة – كما يقولون – نفسها كاملة للرجل وتخضع له.

والحقيقة التي لا جدال فيها أن الطاعة التي يريدها الله من المرأة لزوجها ليست الخضوع والاستسلام ولا تحتاج لكل هذه الصفات التي تطلبها بعض النساء من الرجال.

الطاعة التي أمر الله بها المرأة للرجل هي طاعة المرءوس للرئيس... فأصلها بنود العقد بينهما الذي ارتضت المرأة به حين قبلت الزواج ونص العقد في كتاب الله وسنة رسوله أن يكون

الزوج هو الرئيس: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾ ومبررات هذه القوامة أو الرئاسة ليست كل هذه الصفات التي تذكرها النساء ليعطوا للرجال قوامتهم، والتي يستحيل أن تتوفر نسبة أكثر من ٤٠٪ منها في الرجل الواحد وإنما ذكر الله مبررين أساسيين نقيس عليهما كل المبررات:

١- ﴿بِمَا فَضَّلَ اللهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ فهو أمر فطري خلقه الله في صنف الرجال أن يكون في مؤسسة الزواج هو الرئيس وكذلك خلقه في صنف النساء أن تكون في مؤسسة الزواج هي المرءوس..

وهنا أمران:

الأول: أن ذلك الأمر الفطري متعلق بمؤسسة الزواج فقط فيمكن أن تكون المرأة رئيسة لرجل في أي مؤسسة أخرى إلا مؤسسة الزواج.

والثاني: أن المرأة التي تنفر من أصل هذا الأمر وترى أنه خضوع أو استسلام أو منع للحرية فإما أنها مصابة في فطرتها أو تعيش مراهقة هرمونية تؤخر رشدها وتدفعها للتمرد.

٢- ﴿وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ وهي صفة جامعة لكل ما شابهها من المسئوليات أن يكون الرجل مسئولاً

مسئولية مادية عن البيت من إنفاق وحراسة ورعاية وإغاثة، فهو كما عبر القرآن (قوام) وهي صفة مبالغة من القيام على الشيء فهو دائم القيام على هذا البيت.

وهنا أمر مهم لا بد أن تدركه كل زوجة أن تلك المسئولية لا تتعلق بحب أو كره ولا تتعلق برضا أو غضب ولا تتعلق بشجاعة أو خوف... فهي مسئولية قائمة لا تنفصم إلا بانفصام عقد الزوجية الذي ينظمه الشرع.

بالإضافة إلى أن تلك القوامة لا تنتزع من الرجل بسبب أمر خارج عن إرادته لفقر أو مرض أو عجز... وإنما يجوز أن يفوضها لزوجته برضاه عند الحاجة.. فلا هي- يا ابنتي- خضوع، ولا هي قهر ولا هي صراع، وأيضًا لا تتطلب أن يكون الرجل ملاكًا حتى تعطيها المرأة برضا فهي أمر الله واجب التنفيذ والصبر عليه مهما كانت الظروف.

مؤهلات القوامة:

قالت ابنتي وقد بدأ غضبها يزول: ولكن نجد في كثير من الأحيان سخطًا من نساء فاضلات على هذا الأمر.. وبيان أن سبب سخطهم عدم استحقاق أزواجهن لمثل هذه القوامة.

قلت مكملاً على كلامها: وبالتحقيق نجد أن الأزواج فعلاً وضعوا أنفسهم بسبب أخلاقيات عجيبة في مقام لا يستحق هذه الطاعة..

نعم يا ابنتي هذا صحيح وكما قلت منذ البداية إنها علاقة رئيس بمرءوس وهذه العلاقة متفاوتة حسب نوع الرئيس ونوع المرءوس، وتشتد وتضعف حسب طريقة إدارة البيت للحياة وطريقة نظرة المرءوس لهذه المؤسسة، فطبيعي الزوج الذي يملك أي صفة إيجابية أو حسنة سيكون أفضل من غيره.. وستكون استجابة زوجته له أفضل من الآخر كما أن الزوجة التي تحب زوجها وتبره ستكون في تنفيذها لواجبات الطاعة مختلفة عن غيرها..



وهكذا تستقيم الحياة عندما تدرك الزوجة -كل زوجة- أن الطاعة هي لله أولاً، ويعلم الزوج -كل زوج- أنه بسلوكياته المنضبطة مع شرع الله والذوق البشري يعين زوجته على تنفيذ هذا الأمر الإلهي أو عدم تنفيذه، وبالتالي إما يشاركها في الثواب أو يأخذه العقاب.

ولي كلمة أخيرة وهي تعليق على قول رسول الله ﷺ : «لا

يحل للمرأة أن تصوم وزوجها شاهد إلا بإذنه.....» [(١)] وجاءت أحاديث أخرى تبين أن هذا هو صوم النفل لا صوم رمضان الفرض.

إذا كان موقع طاعة الزوج بين العبادات يمكن ترتيبه هكذا:

فرض ← طاعة زوج ← فضل

فطاعة الزوج مقدمة على النوافل.. ويفهم من هذا الترتيب أن طاعة الزوج تأتي بعد أداء الفروض واجتناب الحرام.. فهل فَهِمَ الزوجان الآن أن الطاعة هي فعل عبادي متبادل من كل منهما، فالزوج مطيع لربه والزوجة كذلك وهي من أجل هذا مطيعة لزوجها لأن الله أمرها بهذا.. فإذا قصر الزوج في طاعة ربه انسحب البساط من تحت قدميه وفقد في نفس زوجته تلك المكانة.

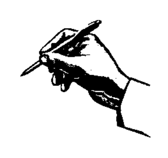
أقول لكل زوج:

إن باب طاعة زوجتك لك لا يفتحه إلا مفتاح طاعتك الحقيقية لا المظهرية لربك.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب النكاح باب لا تأذن المرأة في بيتها لأحدٍ إلا بأذنه.

وأقول لكل زوجة:



إذا عصي زوجك ربه فيك.. فأطيعي الله فيه فإن الثواب دائم لا ينفد أمام أيام فانية من الصبر: والموعد الجنة والرفيق محمد ﷺ والغاية وجه الله تعالى، فإذا قبلت ربح البيع.

﴿إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجُنَّةَ﴾ [التوبة: ١١١].

* * *



لعلكم تتقون

لما كتب الله على أمة محمد ﷺ الصيام أنزل الأمر به في آيات من سورة البقرة عجيبة في معناها ومبناها، فقد علم اللطيف الخبير أن الصوم من العبادات الثقيلة على النفس فكان أمره سبحانه وتعالى به هكذا:

١ - ناداهم بأحب أسمائهم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾.

٢ - أخبرهم أنهم ليسوا بدعًا من الأمم وحفزهم ألا تكون الأمم قبلهم خيرًا منهم. ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾[البقرة: ١٨٣].

٣ - أخبرهم أنه ليس طول العمر إنما هو ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾.

٤ - وخفف عن المريض والمسافر ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾.

٥- وعلى المرضع والحامل وصاحب المرض المزمن الذي لا شفاء منه. ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾.

٦- وبين أن الذي يصوم هو متطوع بالخير وأن الصوم كله خير. ﴿فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[البقرة: ١٨٤].

هكذا فإن من مظاهر الصبر على الطاعات أن تعودي نفسك على الصوم، وتزيدي على صيام الفرض في شهر رمضان بعض أيام من العام والتزمي بوردك وإن كان قليلاً.

فما رأيك في صيام ثلاثة أيام من كل شهر.

يقول الإمام النووي في كتاب رياض الصالحين باب استحباب صوم ثلاثة أيام من كل شهر:

يقول: «والأفضل صومهم في الأيام البيض وهي: الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر».

روى البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«صوم ثلاثة أيام من كل شهر صوم الدهر كله»**[1].

ويمكن أن نقول: إن الحسنة بعشرة أمثالها فمن صام ثلاثة

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الصوم باب صوم داود ؑ.

أيام من الشهر يأخذ ثواب ثلاثين يومًا وهي الشهر كله، فإن داوم عليها فكأنه صائم عمره كله.

وروى مسلم عن معاذة العدوية أنها سألت عائشة من أي الشهر كان ﷺ يصوم؟ قالت: لم يكن يبالي من أي الشهر يصوم[١].

وفي حديث الترمذي قال ﷺ: «**إذا صمت من الشهر ثلاثًا فصم ثلاث عشرة وأربع عشرة وخمس عشرة**»[٢].

وروى النسائي بإسناد حسن عن ابن عباس ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ لا يفطر أيام البيض في حضر ولا سفر[٣].
وروى أحمد في مسنده عن أبي أمامة أنه قال: يا رسول الله أوصني، فقال ﷺ: «**عليك بالصوم فإنه لا مثل له**»[٤].

فكان أبو أمامه: -راوي الحديث- وأهله يصومون فإذا رؤى في بيتهم دخان بالنهار علم أنه قد نزل بهم ضيف.

وقال مجاهد في تفسير قوله تعالى: ﴿**كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الأَيَّامِ الْخَالِيَةِ**﴾[الحاقة: ٢٤] نزلت في الصائمين، من ترك

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الصيام باب استحباب ثلاثة أيام من كل شهر وصوم يوم عرفة وعاشوراء والاثنين والخميس.
(٢) أخرجه الترمذي في جامعه كتاب الصوم باب صوم ثلاثة أيام من كل شهر.
(٣) أخرجه النسائي في سننه كتاب الصيام باب صوم النبي ﷺ.
(٤) أخرجه أحمد في مسنده٥٥/ ٢٤٨.

لله طعامه وشرابه وشهوته عوضه الله خيرًا من ذلك طعامًا وشرابًا لا ينفد وأزواجًا لا تموت.

يقول ابن رجب في (لطائف المعارف): «الدنيا كلها شهر صيام المتقين، وعيد فطرهم يوم لقاء ربهم ومعظم نهار الصيام قد ذهب وعيد اللقاء قد اقترب».

وقد صمت عن لذات دهري كلها
ويوم لقاكم ذاك فطر صيامي

ويقول ابن رجب أيضًا: «ولما كان الصيام سرًّا بين العبد وربه اجتهد المخلصون في إخفائه بكل طريق حتى لا يطلع عليهم أحد.

قال بعض الصالحين: بلغنا عن عيسى ابن مريم أنه قال: «إذا كان صوم أحدكم فليدهُن لحيته ويمسح شفتيه من دهنه حتى ينظر إليه الناس فيظن أنه ليس بصائم».

وصام بعض السلف أربعين سنة لا يعلم به أحد وكان له دكان فكان كل يوم يأخذ من بيته رغيفين ويخرج إلى دكانه فيتصدق بهما في طريقه فيظن أهله أنه يأكلهما في السوق ويظن أهل السوق أنه قد أكل في بيته.

وعبد الله بن غالب قال عنه ابن الجوزي: العبَّاد الصدوق، لما دفن كان يفوح من تراب قبره رائحة المسك، فرؤى في المنام

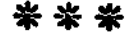
فسئل عن تلك الرائحة التي توجد في قبره فقال: تلك رائحة التلاوة الظمأ (يعني الصوم).

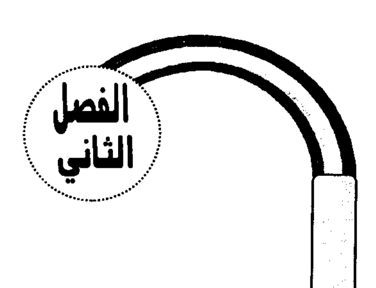
فإذا أضفت إلى المثابرة على صيام تلك الأيام الثلاثة:

أن تواظبي على أداء النوافل الراتبة وهي عشر ركعات.

وأن تداومي على وردك القرآني.

فقد اكتملت فيك إن شاء الله صفة من صفات مجاهدة النفس وهي الصبر على الطاعات.





أعماق البئـــر

﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللهُ﴾

[النساء: ٣٤].





تكتمين السر



بلا جدران:

كيف يكون فزع الإنسان عندما يكون وحده في حجرة يظن أن لا يراه أحد فإذا هذه الحجرة بلا سقف، بلا جدران، هذا بالضبط حال الصديق الذي يفشي لك سره فيجدك تذيعينه، فأنت بالنسبة له حجرة بسقف ولا جدران.

وقد عد أبو حامد الغزالي في كتابه الإحياء من آفات اللسان: إفشاء السر وقال: «وهو منهي عنه لما فيه من الإيذاء والتهاون بحق المعارف والأصدقاء».

روى أبو داود والترمذي وحسنه عن جابر قال: قال ﷺ: **«إذا حدث الرجل الحديث ثم التفت فهي أمانة»**[1].

وقال الحسن: «إن من الخيانة أن تحدث بسر أخيك».

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه كتاب الأدب باب في نقل الحديث.

وتعالى لنرى كيف كان الصحابة بالنسبة للسر:

روى مسلم أن أنسًا ﷺ قال: أتى علي رسول الله ﷺ وأنا ألعب مع الغلمان، فسلم علينا، فبعثني في حاجة فأبطأت على أمي، فلما جئت قالت: ما حبسك؟ فقلت: بعثني رسول الله ﷺ لحاجة. قالت: ما حاجته؟ قلت: إنها سر. قالت: لا تخبرن بسر رسول الله ﷺ أحدًا، قال أنس: والله لو حدثت به أحدًا لحدثتك به يا ثابت[١].

وروى البخاري في حادثة زواج السيدة حفصة بنت عمر (رضي الله عنهما) للنبي ﷺ أن أبا بكر قال لعمر: «لعلك وجدت علي حين عرضت علي حفصة فلم أرجع إليك شيئًا؟ فقلت: نعم، قال: فإنه لم يمنعني أن أرجع إليك فيما عرضت علي إلا أني كنت علمت أن النبي ﷺ ذكرها، فلم أكن لأفشي سر رسول الله ﷺ[٢].

ويروى أن معاوية ﷺ أسر إلى الوليد بن عتبة حديثًا، فقال لأبيه: «يا أبت إن أمير المؤمنين أسر إلي حديثًا وما أراه يطوي عنك ما بسطه إلى غيرك؟ قال: فلا تحدثني به، فإن من كتم سره كان الخيار له، ومن أفشاه كان الخيار عليه.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل أنس بن مالك.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب المغازي باب شهود الملائكة بدرًا.

قال: فقلت: يا أبت وإن هذا ليدخل بين الرجل وبين ابنه؟ فقال: لا والله يا بني ولكن أحب ألا تذل لسانك بأحاديث السر، فأتيت معاوية فحكيت له، فقال: يا وليد أعتقك أبوك من ذل الخطأ فإفشاء السر خيانة.

وروى مسلم عن أبي هريرة قال ﷺ: **«من ستر مسلمًا ستره الله في الدنيا والآخرة»**(١).

روى الحاكم -وقال صحيح الإسناد- عن عقبة بن عامر قال ﷺ: **«من رأى عورة فسترها كان كمن أحيا موءودة من قبرها»**(٢).

وهذا الخلق الراقي (كتمان السر) نجده حديث الصالحين والأدباء والمربين طويلاً، فهو مقياس للانضباط وعمق الشخصية ودلالة على عدم الحمق.

قيل لبعض الأدباء: كيف حفظك للسر؟

قال: أنا قبره.

وقيل: صدور الأحرار قبور الأسرار.

وقال أبو حامد: «قيل إن قلب الأحمق في فيه ولسان العاقل

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب المظالم باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه.
(٢) أخرجه أبو داود في سننه كتاب الأدب باب في الستر على المسلم.

في قلبه، أي لا يستطيع الأحمق إخفاء ما في نفسه فيبديه من حيث لا يدري به.

وقال الشاعر:

ومستودعي سرًّا تضمنت سره
فأودعته من مُسْتَقَر الحشا قبرا

ولكنني أخفيه عني كأنني
من الدهر يومًا ما أحطت به خبرا

وما السر في قلبي كميت بحفرةٍ
لأني أرى المدفون ينتظر النشرا

ولو جاز كتم السر بيني وبينه
عن السر والأحشاء لم تعلم السرا

فهو لا يقبر نفسه قبر السر؛ لأن المقبور قد ينشر يوم القيامة، أما السر في صدره فلن ينشر أبدًا.

وأفشي رجلٌ سرًّا إلى أخيه ثم قال: حفظت. فقال: بل نسيت.

وكان أبو سعيد الثوري يقول: إذا أردت أن تؤاخي رجلاً فأغضبه ثم دس عليه من يسأله عنك وعن أسرارك فإن قال خيرًا وكتم سرك فاصحبه.

قيل لأبي يزيد: من تصحب من الناس؟

قال: من يعلم منك ما يعلم الله ثم يستر عليك كما يستره الله.

وقال ذو النون: لا خير في صحبة من لا يحب أن يراك إلا معصومًا، ومن أفشى السر عند الغضب، فهو اللئيم.

وقال الشاعر:

وتـــرى الكـــريم إذا تصرم وصـــله
يخفـــي القبـــيح ويظهـــر الإحســـانا
وتـــرى اللئـــيم إذا تـــقضي وصـــله
يخفـــي الجميـــل ويظهـــر البهتانـــا

لا تلومن إلا نفسك:

إذا استودعت أحدًا سرك فأفشاه فلا تلومن إلا نفسك! إذا كان صدرك أضيق عنه.

قال عمرو بن العاص ﷺ: «ما وضعت سري عند أحد فأفشاه على فلمته؛ أنا كنت أضيق به حيث استودعته إياه».

وقال الشاعر:

إذا المـــــــرء أفشي سره بلســـــــانه
ولام عليـــه غـــيره فهـــو أحمـــق

إذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه
فصدر الذي يستودع السر أصدق

وقال شمس الدين البدوي:

إني كتمت حديث ليلى لم أبح
يومًا بظاهره ولا بخفيه
وحفظت عهد ودادها متمسكًا
في حبها برشاده أو غيه
ولها سرائر في الضمير طويتها
نسي الضمير بأنها في طيه

وقال الآخر:

ويكتم الأسرار حتى إنه
ليصونها عن أن تمر بباله

ونعرض عليك مظهرًا أساسيًّا لهذه الصفة من صفات مجاهدة النفس؛ حيث تتدربين على كتمان سر من حولك مثل الزوج والصديق والوالدين.



سر الأسرار:

روى مسلم عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن من أشر الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يفضي إلى المرأة وتفضي إليه ثم ينشر سرها»**(١).

هذا هو سر الأسرار، السر بين الرجل وزوجته، إنه السر النابع من المودة والرحمة، القائم على السكن والقرب الشديد.

السر الذي أساسه أن الزوج من نفس الزوجة والزوجة من نفس الزوج، فكل منهما يشعر أنه مع نفسه، فتكون الطامة الكبرى والإساءة العظيمة أن يكتشف أنه عريان بلا غطاء، وبيت بلا جدار، إن الخيانة لم تنبع من أحد خارجه وإنما نبعت من نفسه التي وثق فيها وأفضى إليها، فيكون هذا من أشر الناس عند الله منزلة يوم القيامة.

وقد يفسر العلماء هذا الحديث في الغالب على أسرار النكاح والعلاقة الزوجية.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب النكاح باب تحريم إفشاء سر المرأة.

وإفشاء هذه الأسرار من الكبائر وورد فيها الوعيد الغليظ.

روى أحمد وصححه الألباني عن أسماء بنت يزيد أنها كانت عند رسول الله ﷺ والرجال والنساء قعود، فقال: «**لعل رجلاً يقول ما يفعله بأهله، ولعل امرأة تخبر بما فعلت مع زوجها؟** فسكت القوم فقلت: إي والله يا رسول الله إنهن ليفعلن وإنهم ليفعلون. قال: **فلا تفعلوا، فإنما ذلك من الشيطان لقي شيطانه في طريق فغشيها والناس ينظرون**»[1].

*** فلما نبأت به!!**

ولكن أمر السر عمومًا كما رأينا من قبل أمر عظيم ومن الخلق العالي الذي لا بد أن يكون من خصائص المسلم، ويعظم شأن السر عندما يكون بين الزوجين، ويعظم أكثر عندما يكون الزوجان هما محمدًا النبي ﷺ وزوجته.

فماذا يحدث إذا نبأ النبي زوجته بسر، وأمرها ألا تذيعه، فنبأت به؟ وماذا حدث عندما نبأت به؟

لقد احتاج الأمر إلى أن تتأدب الزوجات والأزواج ويعلمن أن أمر السر بينهم خطير حتى يضع الله -سبحانه وتعالى- نبيه في هذه التجربة التي طالت حتى وصلت شهرًا تقريبًا من المعاناة حتى إن المدينة كلها انفعلت به. تعالى لنستمع إلى القصة ثم لنرى

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده ٦/ ٤٥٦.

كيف تعامل معها الله سبحانه وتعالى.

روى البخاري، عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: كان النبي ﷺ يشرب عسلاً عند زينب بنت جحش ويمكث عندها، فتواطأت أنا وحفصة على أينا دخل عليها فلتقل له: أكلت مغافير (وهو صمغ حلو الطعم كريه الرائحة) فلما جاء النبي ﷺ وقالت له زوجته: إني أجد منك ريح مغافير، قال: لا ولكني كنت أشرب عسلاً عند زينب فلن أعود له وقد حلفت، لا تخبري بذلك أحدًا[١].

فهنا ثلاثة أمور:

الأول: أن النبي إرضاءً لأزواجه حرم على نفسه العسل وهو حلال.

الثاني: أنه أقسم على ذلك حتى تنتهي تلك الحملة المزعجة بين الزوجات.

الثالث: أنه أمر أحد أزواجه والأغلب أنها حفصة بنت عمر رضي الله عنها ألا تذيع هذا السر.

ثم حدث أمر خطير، وهو أن الزوجة التي أمرت بعدم إفشاء السر قد أبلغت به الأخرى.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب التفسير باب سورة الطلاق.

فهناك خلل لا بد من علاجه، وهناك أمر في الخفاء لا يليق أولاً ببيت النبوة، ثم لا يليق ثانية بالزوجة المسلمة وهو إفشاء السر.

فنزلت الآيات من عند الملك سبحانه وتعالى ليضبط الأمر.

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التحريم: ١].

لم يكشف القرآن الموضوع بأكمله ليكون تأديبًا لكل زوجه تفشي سر زوجته: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَن بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴾[التحريم: ٣].

إن حياة النبي ﷺ الخاصة والعامة كتاب مفتوح لأمته وللبشرية كلها تقرأ فيه صور الإسلام عقيدة وأخلاقًا وتطبيقات واقعية، فليس فيه شيء مخبوء.

وكلنا يحب أن يخفي مشاكله الزوجية ويجعلها في أضيق الحدود، أما النبي ﷺ فليس له هذا لأن حياته كلها دروس ومنهج يتعلم منه الناس كيف يكون الإسلام وكيف تكون الحياة بالإسلام.

وقد وردت رواية أخرى لسبب نزول هذه الآيات هي ما رواه ابن جرير الطبري وابن إسحق أن النبي ﷺ كانت له جارية

هي مارية أم ولده إبراهيم، وكانت حلالاً له بملك اليمين ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ [النساء: ٣٦] [(١)]، فوطئها في بيت حفصة، فغضبت واعتبرتها إهانة، فوعدها رسول الله ﷺ بتحريم مارية وحلف بهذا وأمرها بكتمان الأمر، فأخبرت به عائشة (لتفتخر بهذا ولتبين فضلها عند رسول الله ﷺ).

يقول سيد قطب: «وكلا الروايتين يمكن أن يكون هو الذي وقع ولكن الرواية الأولى أقوى إسنادًا، وعمومًا فإن الأمر يتلخص في سر أودعه النبي عند إحدى زوجاته فنبأت به.

ما موقف القرآن في مثل هذه الحادثة؟

وقد ينظر البعض إلى الأمر ببساطة ذلك لأن في البيوت يحدث هذا مرات، ولكن نقول إنه بيت النبوة أولاً، ثم إنه الخلق العظيم الذي إذا افتقرت منه البيوت فهي فقيرة: كتمان السر.

---

(١) ملك اليمين هي المرأة يشتريها الرجل أو تقع من نصيبه في الحرب فتصبح جارية من جواريه ويحل لها معاشرتها وكان هذا نظامًا اجتماعيًا قبل الإسلام الذي جاء ومن مقاصده إلغاؤه تمامًا إلا أن الأمر وكان متشفيًا في المجتمعات كلها فلزم اتباع منهج الإسلام في التدرج في إلغاء مثل هذه الظواهر، فبدأ في تنظيمه وإعطاء حقوق لهؤلاء العبيد.

الذين كانوا لا قيمة لهم قبله وخاصة للمرأة منهم.. وكان من الحقوق أن التي تحمل منهم أو تلد تتحول إلى مرتبة أعلى من العبودية وأقل من الحرية وتسمي (أم ولد) وتعامل معاملة الزوجات ولا يفرق بينها وبين ولدها بأن يباع الولد مثلا كما كان يحدث في الجاهلية بل وفي الدول الحديثة حتى عصر قريب.

تبدأ الآيات بعتاب من الله لرسوله ﷺ ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۞ قَدْ فَرَضَ اللهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾[التحريم: ١، ٢]، وهو عتاب مؤثر موحٍ، فما يجوز أن يحرم المؤمن على نفسه ما أحله الله له من متاع، والرسول ﷺ لم يكن حرم العسل أو مارية بمعنى التحريم الشرعي (أي على كل المسلمين) إنما كان قد قرر حرمان نفسه فقط.

فجاء هذا العتاب يحكم بأنه ما جعله الله حلالاً فلا يجوز حرمان النفس منه إرضاءً لأحد.

والتعقيب ﴿وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ يوحي بأن هذا الحرمان من شأنه أن يستوجب المؤاخذة ولكن تتداركه رحمة الله وغفرانه.

ثم تشير الآيات إلى الحدث ولا تذكره بتفصيل لأن موضوعه ليس المهم ولكن المهم والباقي له دلالته وآثاره.

﴿وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا﴾

لقد اطلع الله عليه، لقد جعل الزوج المخلص الله بينه وبين زوجته ولكنها نبأت به.

﴿ فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَن بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴾

[التحريم: ٣].



إن الحياة الزوجية رباط أوثق من أن تشاع أسراره، وإن كتمان السر- ذلك الخلق الرفيع- يحتاج مجاهدة وتصبر وخاصة في الحياة الزوجية.

ويلتفت السياق القرآني على الزوجتين صاحبتي القصة.

﴿إِن تَتُوبَا إِلَى اللهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾.

الأمر يحتاج إذًا إلى توبة، فإفشاء الأسرار ليس مجرد ذلة لسان يستغفر منها وإنما هي معصية تحتاج إلى توبة.

أما الطرف الآخر المظلوم الذي أشيع سره وكان يحسب أنه في مأمن فإن الله معه وناصره.

﴿وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللهَ هُوَ مَوْلاَهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلاَئِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [التحريم: ٤].

وكان الموقف لدى الزوج الظاهر ﷺ من الضخامة بحيث يبدو أنه قد صدم في زوجتيه الحبيبتين لديه أن تشيع سره وتلوكه ألستهم، فأخذ منهم موقفًا كان في قمة التربية والوعظ لهن ولأي زوج أو زوجة يروق له أن يشيع سر الآخر.

فقد ورد في كتب السنة ومنها البخاري ومسلم موقف النبي ﷺ كما يلي:

أن ابن عباس سأل عمر بن الخطاب عن المعنيتين في قوله تعالى: ﴿إِن تَتُوبَا إِلَى اللهِ﴾.

فقال عمر: واعجبًا لك يا ابن عباس! قال الزهري: (كره والله ما سأله عنه ولم يكتمه).

قال: هي عائشة وحفصة.

كنا معشر قريش قومًا نغلب النساء، فلما قدمنا المدينة وجدنا قومًا تغلبهم نساؤهم، فطفق نساؤنا ليتعلمن من نسائهم فغضبت يومًا على امرأتي فإذا هي تراجعني فأنكرت أن تراجعني فقالت: ما تنكر أن أراجعك؟ فوالله إن أزواج رسول الله ﷺ ليراجعنه وتهجره إحداهن اليوم إلى الليل!

قال: فانطلقت فدخلت على حفصة فقلت: أتراجعين رسول الله ﷺ قالت: نعم! قلت: وتهجره إحداكن اليوم إلى الليل؟ قالت: نعم. قلت: قد خاب من فعل ذلك منكم وخسر أفتأمن إحداكن أن يغضب الله عليها لغضب رسوله فإذا هي قد هلكت؟ لا تراجعي رسول الله ﷺ ولا تسأليه شيئًا وسليني من مالي ما بدا لك، أيغرنك إن كانت جارتك هي أوسم- أي أجمل- وأحب إلى رسول الله ﷺ منك (يريد عائشة).

قال: وكان لي جار من الأنصار وكنا نتناوب النزول إلى

رسول الله ﷺ[1] فيأتيني بخبر الوحي وغيره وآتيه بمثل ذلك وكنا نتحدث أن غسان تعد الخيل لتغزونا، فنزل صاحبي يومًا ثم أتى فضرب بابي، ثم نادى فخرجت إليه، فقال: حدث أمر عظيم. فقلت: وما ذاك؟ أجاءت غسان؟

قال: لا، بل أعظم من ذلك وأطول! طلق رسول الله ﷺ نساءه.

فقلت: قد خابت حفصة وخسرت قد كنت أظن هذا كائنًا حتى إذا صليت الصبح شددت على ثيابي ثم نزلت فدخلت على حفصة وهي تبكي، فقلت: أطلقكن رسول الله ﷺ؟ فقالت: لا أدري هو هذا معتزل في هذه المشربة[2].

فاستأذنت عليه عدة مرات، حتى أذن لي، فدخلت وسلمت، فإذا هو متكئ على حصير قد أثر في جنبه، وكان قد أقسم ألا يدخل عليهن شهرًا في شدة موجدته عليهن حتى عاتبه الله عز وجل.

هذا هو موقف الزوج الطاهر من زوجاته أمام كشفهن سره ثم يحمل القرآن حملة ضخمة هائلة فيها تهديد رعيبا مخيفا.

﴿عَسَىٰ رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا﴾ [التحريم: ٥].

---

(١) كان عمر يسكن بعيدًا عن المسجد في مكان مرتفع في المدينة.
(٢) مكان بعيد عن بيته ورد أنه فوق فرع شجرة.

وهذا التفصيل لصفات الأزواج التي يعد الله بها الزوج التي ظلمته زوجته بكشف سره هو توجيه للزوجات أن كن كذلك:

﴿مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا﴾[التحريم: ٥].

وقد رضيت نفس النبي ﷺ بعد نزول هذه الآيات وخطاب ربه له ولأهل بيته، واطمأن هذا البيت الكريم بعد هذه الزلزلة، وعاد إليه هدوؤه بتوجيه الله (سبحانه وتعالى)، وهو تكريم لهذا البيت ورعاية تناسب دوره في إنشاء منهج الله في الأرض وتثبيت أركانه[١].

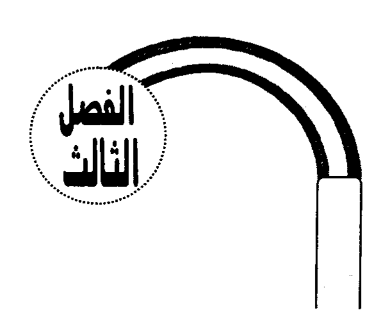
هذا بالنسبة للبيت النبوي ولمحيط الحياة حوله فما موقفنا نحن بعد هذا؟ هل استوعبنا جيدًا الموقف؟ هل عرفنا أثر إفشاء السر في خلل البيوت؟ وأثر كتمانه في هدوء البيوت واستقرارها؟

هذه هي الصفة الثانية من صفاتك أيتها الأخت المسلمة المجاهدة نفسك وشيطانك أن تكتمي السر.

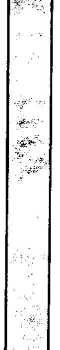
وأهم مظاهرها:

- أن تكتمي سر الزوج والصديقة والوالدين.

(١) انظر الظلال جـ٦ تفسير سورة التحريم، رحم الله سيد قطب.



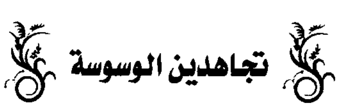
من أسلحة الشياطين



﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾

[فاطر: ٦].





كنا في الفصل الأول مع مجاهدة النفس في حثها على الصبر على الطاعات وترك المعاصي وفي هذه الفقرة نحاول أن نتعرف على عدو شديد من أعدائنا والذي يعتبر عائقًا كبيرًا أمام هذه الصفة وهو الشيطان والله يقول عنه: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [فاطر: ٦] حيث نرى كيف نجاهده.

العدو:

الشيطان رمز للحقد المتمكن والذي أودى بصاحبه إلى الهلاك، فقد أبى السجود لآدم فعصى ربه ومنعه الكبر من العودة فطرده الله شر طرده: ﴿اهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٣].

يقول سيد قطب (رحمه الله): «لقد طرد من الجنة وطرد من رحمة الله وحقت عليه اللعنة وكتب عليه الصغار».

ولكن الشرير العنيد لا ينسى أن آدم هو سبب الطرد والغضب

ولا يستسلم لمصيره البائس دون أن ينتقم ثم ليؤدي وظيفته وفق طبيعة الشر التي تمخضت فيه، ويضع خطته للانتقام لتكون نهايتها هبوط آدم وحواء إلى الأرض وسكناهما وذريتهما هذه الأرض بعد أن تاب الله عليهما: **﴿قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾** [الأعراف: ٢٤].

وتستمر عداوة الشيطان لآدم وذريته إلى يوم الدين ولن تنتصري أختي المسلمة على هذا العدو إلا باتباع الحق الذي هو أقوى منه ولا يكون هذا إلا بالسير على الخطة التي وضعها الله: **﴿فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ۞ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾** [البقرة: ٣٨، ٣٩].

والقرآن ملئ بالتحذير والإنذار من الشيطان واتباع خطواته:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَوْلاَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٢١].

والشيطان يهتم بالبدايات ويبدأ رحلته مع الإنسان منذ أول لحظة ميلاد.

روى البخاري قال ﷺ: **«كل ابن آدم يطعن الشيطان في**

جنبيه بإصبعيه حين يولد غير عيسى ابن مريم ذهب يطعن فطعن في الحجاب»[١].

يقول القرطبي: هذا الطعن من الشيطان هو ابتلاء التسليط فحفظ الله مريم وابنها منه ببركة دعوة أمها حيث قالت: ﴿إِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [آل عمران: ٣٦].

أعمال الشيطان:

ومن أعمال الشيطان التي حذر القرآن والسنة منها:

أ- الخمر والميسر والأنصاب والأزلام: يقول عنها القرآن إنها: ﴿رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٩٠].

«ويكفي أن يعلم المؤمن شيئًا من عمل الشيطان لينفر منه حسه وتشمئز منه نفسه ويجفل منه كيانه ويبعد عنه من خوف ويتقيه»[٢].

ب- بول الشيطان: روى البخاري أنه ذكر عند النبي ﷺ رجل ينام ليله حتى أصبح فقال: **«ذاك رجل بال الشيطان في أذنيه»**[٣].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب بدء الخلق باب صفة إبليس وجنوده.
(٢) الظلال جـ٢ صـ٩٨٤.
(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب بدء الخلق باب صفة إبليس وجنوده.

جـ- ضحك الشيطان: روى البخاري قال ﷺ: «التثاؤب من الشيطان فإذا تثاءب أحدكم فليرده ما استطاع فإن أحدكم إذا قال ها ضحك الشيطان»[(١)].

د- الإدبار: روى البخاري قال ﷺ: «إذا نودي بالصلاة أدبر الشيطان وله ضراط فإذا قضى أقبل فإذا ثوب بها أدبر[(٢)]»[(٣)].

هـ- أتباع الغاوين: يقول تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾[الأعراف:١٧٥] ويزيد معسكر الشياطين واحدًا ولكن من الإنس.

و- السرقة والاختلاس: روى البخاري أن عائشة سألت النبي ﷺ عن التفات الرجل في الصلاة فقال: «هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة أحدكم»[(٤)].

ز- الانتشار في بداية الليل: روى البخاري قال ﷺ: «إذا استجنح الليل أو كان جنح الليل فكفوا صبيانكم فإن الشياطين تنتشر حينئذ فإذا ذهب ساعة من العشاء فخلوهم»[(٥)] وهذه الفترة هي من بعد صلاة المغرب حتى بعد العشاء بساعة.

---

(١) أخرجه البخاري كتاب بدء الخلق باب صفة إبليس وجنوده.
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الأذن باب فضل التأذين.
(٣) النداء هو الأذان والتثويب: الإقامة.
(٤) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب بدء الخلق باب صفة إبليس وجنوده.
(٥) التخريج السابق نفسه.

فهذه بعض ملامح تواجد الشيطان في حياتنا لندرك أهمية المجاهدة والصبر عليها عند التعامل مع الشيطان: ﴿إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لاَ تَرَوْنَهُمْ﴾ [الأعراف: ٢٧].

*** مداخل الشيطان:**

عدَّد الأستاذ عبد الحميد البلالي مداخل الشيطان والتي استنبطها من القرآن والسنة فكانت حوالي ثلاثة وعشرين مدخلاً، منها:

الأمر بالسوء، التخويف بالفقر، الأماني الكاذبة، الإيحاء بالمجادلة، غرس اليأس، تفكيك الأسرة، الغضب... وكان منها:



و(وسوس) في اللغة تعطي معنى الاستمرار ومنذ أعلن هذا العدو إعلانه الأول بأن يضل بني آدم ﴿وَلأُضِلَّنَّهُمْ﴾ [النساء: ١١٩] لم يلق سلاحه ولم يمل طول الحرب.

وذكر ابن القيم ست مراتب لوسوسة الشيطان لابن آدم وهي من الأخطر إلى الأقل خطورة:

١ - الوسوسة بالشرك والكفر.

٢- الوسوسة بالبدعة.

٣- الوسوسة بارتكاب الكبائر.

٤- الوسوسة بالإكثار من الصغائر.

٥- الوسوسة بالانشغال بالمباحات.

٦- الوسوسة بالعمل المفضول عما هو أفضل منه.

وتذكري ما قلناه في المقدمة حول محاور مجاهدة النفس.

في باب الطاعة وفي باب ترك المحارم وفي باب الإقلال من المباحات.

والشيطان يحارب أيضًا كما رأينا بالوسوسة على تلك المحاور.

ويقول ﷺ: **«إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم»**[1].

وما من إنسان إلا وله قرين من الشياطين، حتى رسولنا ﷺ إلا أن الله أعانه عليه فأسلم.

ولقد بين القرآن ضعف الشياطين في قوله تعالى: **﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾**[النساء: ٧٦].

وبين أنه لا سلطان له على المؤمنين وإنما سلطانه على:

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الاعتكاف باب زيارة المرأة زوجها في اعتكافه.

﴿الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ [النحل: ١٠٠].

وكما انتصر النبي ﷺ على الشيطان وهو نبي فإن أصحابه استطاعوا هزيمة الشياطين في أكثر من موقف، فهذا عمر ما سلك فجًّا إلا وسلك الشيطان فجًا غيره.

والوسوسة: أحد مداخل الشيطان التي هي طريقه لفريق من المسلمين الذين عجز عن إغوائهم بالطرق الأخرى، ولم يستطع صيدهم بحبائله المختلفة، فعمد إليهم بهذه الوسيلة، وخدعهم بخدعه ظاهرها الرحمة وباطنها من قبله العذاب، ولهذا أمر الله سبحانه أن نستعيذ منه ومن وسوسته على وجه الخصوص، وأنزل سورة خاصة بذلك وهي سورة الناس، التي جاء فيها: ﴿مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ۝ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾ [الناس: ٤، ٥].

والوسوسة:

هي حديث النفس وما يلقيه الشيطان في الصدر.

قال ابن منظور: والوسواس: حديث النفس والوَسواس بالفتح هو الشيطان، وكل ما حدثك به ، ورجل مُوَسوس إذا غلبت عليه الوَسْوَسة.

أسباب الوسوسة:

الوسوسة من كيد الشيطان، وهي ناتجة من الغلو والتشدد في أمور نهى الشارع عن الغلو والتشدد فيها، ولهذا فإن مرادها إجمالاً إلى أمرين:

١- خلل في العقل.

٢- أو جهل بالشرع.

مداخل الوسوسة:

ينوع الشيطان من مداخله على البشر كل حسب حالته ولكن أخطرها وأكثرها خطرًا أربعة هي:

أولاً: التفكير في ذات الله وصفاته:

فعلى الرغم من أن العباد نهوا أن يتفكروا في ذات الله، وفي حقيقة صفاته وكيفيتها، وأمروا أن يتفكروا في مخلوقات الله الدالة على قدرته، إلا أننا نجد الشيطان يوسوس لبعضهم ويورد عليهم أسئلة تضيق منها صدورهم ويتحرجون منها، مصداقًا لما تنبأ به رسول الله ﷺ عندما حدث ذلك لبعض أصحابه.

فقد صح عن أبي هريرة ﷺ قال: جاء ناس من أصحاب النبي ﷺ فسألوه: إنا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به؛ قال: وقد وجدتموه؟ قالوا: نعم؛ قال: «**ذلك صريح الإيمان**»[1].

(١) أخرجه أحمد في مسنده ٢/ ٣٩٧.

وفي رواية عن ابن مسعود ﷺ قال: «سئل رسول الله ﷺ عن الوسوسة؟ قال: «**تلك محض الإيمان**»[(١)].

وفي رواية: «لأن يكون أحدنا حممة- أي فحمًا- أحب إليه من أن يتكلم به»[(٢)].

وعن أبي هريرة ﷺ يرفعه[(٣)]: «تسألون حتى تقولوا: هذا الله خلقنا فمن خلق الله»، قال أبو هريرة: فوالله إني لجالس يومًا إذ قال لي رجل من أهل العراق: هذا الله خلقنا فمن خلق الله؟ قال أبو هريرة: فجعلت إصبعي في أذني وصحت: صدق رسول الله، الله الواحد الأحد الصمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحدًا»[(٤)].

وعن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ:

«**إن الشيطان يأتي أحدكم فيقول: من خلقك؟ فيقول: الله؛ فيقول من خلق السماوات والأرض، فيقول: الله؛ فيقول: من خلق الله؟ فإذا وجد أحدكم شيئًا من ذلك فليقل: آمنت بالله ورسوله**»[(٥)].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب بيان الوسوسة في الإيمان.
(٢) أخرجه أبو داود كتاب الأدب باب في رد الوسوسة.
(٣) أي يرويه عن رسول الله ﷺ وليس كلام أبي هريرة.
(٤) أخرجه أحمد في مسنده ١٠/ ٤٤٥.
(٥) أخرجه أبي يعلى الموصلي في مسنده ٨/ ١٦٠.

ثانيًا: في العبادات، كالطهارة والصلاة وغيرهما:

من المجالات التي استحوذ بها الشيطان على بعض بني آدم الوسوسة في الطهارة والصلاة ونحوهما، فهذا من أوسع المجالات ولوجًا للشيطان في نفوس الضعفاء ممن لم يجد لهم مدخلاً غيره.

✍ ومن ذلك أنه يأمرهم بطول المكث في الخلاء.

✍ ومنهم من يقوم يمشي ويتنحنح ويرفع قدمًا ويحط أخرى وعنده أنه يستنجي من البول وكلما زاد في هذا نزل البول.

✍ ومنهم من يلبس عليه في النية، فتراه يقول: أرفع الحدث، ثم يقول: أستبيح الصلاة؛ ثم يقول: أرفع الحدث؛ وسبب هذا التلبيس الجهل بالشرع لأن النية بالقلب لا باللفظ.

✍ ومنهم من يلبس عليه بالنظر في الماء المتوضأ به، فيقول: من أين لك أنه طاهر؛ يكفيه بأن أصل الماء الطهارة، فلا يترك الأصل بالاحتمال.

✍ ومنهم من يلبس عليه بكثرة استعمال الماء.. وربما أطال الوضوء ففات وقت الصلاة، أو فات أوله وهو فضيلة، أو فاتته الجماعة.

✍ ومنهم من لا يتوضأ إلا في بيته فيجمع الصلوات آخر اليوم عند العودة إلى بيته بدعوى أن كل الأماكن العامة غير طاهرة[١].

التحذير من الإسراف والغلو في الوضوء والغسل:

وردت أحاديث كثيرة وآثار عديدة تنهي وتحذر من الإسراف في الماء، منها:

✍ ما صحَّ عن عمرو بن العاص ﷺ أن النبي ﷺ مر بسعد وهو يتوضأ، فقال: «**ما هذا السرف يا سعد؟** قال: أفي الوضوء سرف؟ قال: **نعم، وإن كنت على نهر جارٍ**»[٢].

✍ وعن أُبي يرفعه إلى رسول الله ﷺ: «**للوضوء شيطان يقال له الولهان فاتقوه**»[الترمذي] وفي رواية: «**فاحذروه**»[٣].

✍ سمع عبد الله بن مغفل ابنه يقول: اللهم إني أسألك الفردوس، وأسألك.. فقال عبد الله: سل الله الجنة وتعوذ به من النار، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**سيكون في هذه الأمة قوم يعتدون في الدعاء والطهور**»[٤].

---

(١) تلبيس إبليس، ابن الجوزي (ص ١٣٤، ١٣٥).
(٢) أخرجه أحمد في مسنده ٢/ ٢٢١.
(٣) أخرجه أحمد في مسنده ٥/ ١٣٦ والترمذي في جامعه كتاب أبواب الطهارة باب كراهية الإسراف في الوضوء.
(٤) أخرجه أبو داود في سننه كتاب الطهارة باب الإسراف في الماء.

✍ وعن الحسن رحمه الله قال: شيطان الوضوء يدعى الولهان يضحك بالناس في الوضوء.

✍ وكان الحسن يعرض بابن سيرين، يقول: يتوضأ أحدهم بقربة ويغتسل بمزادة صبًا صبًا، ودلكًا دلكًا، تعذيبًا لأنفسهم، وخلافًا لسنة نبيهم ﷺ.

✍ روى عن أبي حازم التابعي الجليل رحمه الله أنه دخل المسجد فوسوس إليه إبليس أنك تصلي بغير وضوء، فقال: ما بلغ نصحك إلى هذا[١].

✍ وعن عثمان بن أبي العاص قال: «قلت: يا رسول الله، إن الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي وقراءتي يلبسها عليَّ؛ فقال رسول الله ﷺ: **ذلك شيطان يقال له خنزب، فإذا أحسسته فتعوذ بالله منه ثلاثًا واتفل عن يسارك؛ ففعلت ذلك فأذهبه الله عني**»[٢].

✍ وعن أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ كان يقول: «**لا تشددوا على أنفسكم، فيشدِّد الله عليكم، فإن قومًا شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم، فتلك بقاياهم في الصوامع**

---

(١) أي ما أظن أن تنصحني يا إبليس بمثل هذه النصيحة.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب السلام باب التعوذ من شيطان الوسوسة في الصلاة.

والديورات: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ﴾ [١].

✍ وقال أبو الوفاء بن عقيل[٢] رحمه الله: أجل محصول عند العقلاء الوقت، وأقل متعبد به الماء.

وقد قال ﷺ: «صبوا على بول الأعرابي ذنوبًا[٣] من الماء»[٤]، وقال في المني: «أمطه عنك بإذخرة»[٥].

وقال في الحذاء: عن أبي هريرة ﷺ قال رسول الله ﷺ: «إذا وطئ أحدكم بنعله الأذى فإن التراب له طهور»[٦].

وفي ذيل المرأة: «يطهره ما بعده»[٧].

وقال: «يغسل بول الجارية وينضح بول الغلام»[٨].

وكان يحمل بنت أبي العاص بن الربيع في الصلاة.

ونهى الراعي عن إعلام السائل له عن الماء وما يرده، وقال: ما أبقته لنا طهور، وقال: «يا صاحب الماء لا تخبره»[٩].

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه كتاب الأدب باب في الحسد.
(٢) تلبيس إبليس لابن الجوزي ١٣٦.
(٣) دلوًا.
(٤) والحديث أخرجه البخاري في كتاب الأدب باب قول النبي ﷺ: «يسروا ولا تعسروا».
(٥) أخرجه الترمذي في جامعه كتاب الطهارة باب غسل المني من الثوب.
(٦) أخرجه أبو داود في سننه كتاب الطهارة باب في الأذى يصيب النعل.
(٧) أخرجه أبو داود في سننه كتاب الطهارة باب في الأذى يصيب النعل.
(٨) أخرجه أبو داود في سننه كتاب الطهارة باب بول الصبي يصيب الثوب.
(٩) أخرجه مالك في الموطأ كتاب الطهارة باب الطهور للوضوء.

- قال سعيد بن المسيب رحمه الله: إني لأستنجي من كوز، وأفضل منه لأهلي.

- وقال أحمد رحمه الله: من فقه الرجل قلة ولوعه بالماء.

- وقال المروزي: وضأت أبا عبد الله بالعسكر، فسترته من الناس، لئلا يقولوا: إنه لا يحسن الوضوء، وكان أحمد يتوضأ فلا يكاد يَبُلُّ الثرى.

إساءة أدب:

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: (ومن كيده الذي بلغ به من الجهل ما بلغ، الوسواس الذي كادهم به في أمر الطهارة والصلاة عند عقد النية، حتى ألقاهم في الأصار والأغلال، وأخرجهم من أتباع سنة رسول الله ﷺ، وخيل إلى أحدهم أن ما جاءت به السنة لا يكفي حتى يضم إليه غيره، فجمع لهم بين هذا الظـــن الفاســـد، والتعب الحاضر، وبطلان الأجر أو تنقيصه.

ولا ريب أن الشيطان هو الداعي إلى الوسواس، فأهله قد أطاعوه ولبوا دعوته، واتبعوا أمره، ورغبوا عن اتباع سنة رسول الله ﷺ وطريقته، حتى إن أحدهم يرى أنه إذا توضأ وضوء رسول الله ﷺ أو اغتسل كاغتساله لم يطهر ولم يرتفع حدثه، ولولا العذر بالجهل لكان هذا مشاقة للرسول ﷺ.

فقد كان رسول الله ﷺ يتوضأ بالمد[١] ويغتسل بالصاع[٢]، والموسوس يرى أن ذلك القدر لا يكفيه لغسل يديه، وصحَّ أنه توضأ مرة مرة، ولم يزد على ثلاث، بل أخبر أن من زاد عليها فقد أساء وتعدى وظلم».

فالموسوس مسيء متعدٍّ ظالم بشهادة رسول الله ﷺ، فكيف يتقرب إلى الله بما هو مسيء به متعدٍّ فيه لحدوده؟

ودلت السنة الصحيحة على أن النبي ﷺ وأصحابه لم يكونوا يكثرون صب الماء، ومضى على هذا التابعون لهم بإحسان[٣].

- وقال البخاري: وكره أهل العلم الإسراف فيه- يعني الوضوء- وأن يجاوزوا فعل النبي ﷺ.

ثالثًا: تزيين المعاصي:

من مداخل الشيطان إلى بعض العباد الوسوسة بالذنوب والآثام وتزيينها لهم وتحسينها في قلوبهم، فلا ينفكون عن ذلك حتى يواقعوها.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: فإن قوله: ﴿مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ﴾ [الناس: ٤] يعم كل شره ووصفه بأعظم صفاته،

---

(١) ملء كف الإنسان المعتدل.

(٢) ٤ أمداد.

(٣) إغاثة اللهفان لابن القيم: ١/ ١٢٦- ١٢٨.

وأشدها هجرًا، وأقواها تأثيرًا، وأعمها فسادًا، وهي الوسوسة التي هي مبادئ الإرادة.

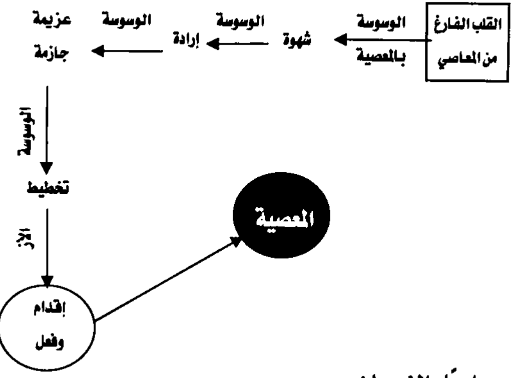
فإن القلب يكون فارغًا من الشر والمعصية فيوسوس إليه ويخطر الذنب بباله فيصوره لنفسه ويمنيه ويشهيه فيصير شهوة، ويزينها له ويحسنها ويخيلها له في خيال تميل نفسه إليه، فيصير إرادة، ثم لا يزال يمثل ويخيل ويمني ويشهى، وينسي علمه بضررها، ويطوي عنه سوء عاقبتها، فيحول بينه وبين مطالعته، فلا يرى إلا صورة المعصية والتذاذه بها فقط، وينسى ما وراء ذلك، فتصير الإرادة عزيمة جازمة، فيشتد الحرص عليها من القلب، فيبعث الجنود في الطلب، فيبعث الشيطان معهم مددًا لهم وعونًا، فإن فتروا حركهم، وإن ونوا أزعجهم، كما قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾ [مريم: ٨٣]، أي تزعجهم إلى المعاصي إزعاجًا، كلما فتروا ونوا أزعجتهم الشياطين وأزتهم وأثارتهم، فلا تزال بالعبد تقوده إلى الذنب، وتنظم شمل الاجتماع بألطف حيلة وأتم مكيدة، قد رضي لنفسه بالقيادة لفجرة بني آدم، وهو الذي استكبر وأبى أن يسجد لأبيهم، فلم تمنعه النخوة والكبر أن يصير قوادًا لكل من عصى الله، كما قال بعضهم:

عجبتُ من إبليس في تيهه
وقبح ما أظهر من نخوته

تــــاه عــــلى آدم في ســــجدة

وصــــار قــــوادًا لذريتــــه[1]

وهكـذا يمكـن تمثيـل سـبيل الشـيطان للإيقـاع في المعصية بالشكل التالي:



رابعًا: النسيان:

ومن وسائل وسوسة الشيطان للإنسان أن ينسيه ما يريد تذكره ويحرص عليه، قال تعالى على لسان غلام موسى: ﴿وَمَا أَنسَانِيهُ إِلاَّ الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ﴾ [الكهف: ٦٣]، ولهذا يضاف النسيان إليه، وكانت وسيلة وقوع آدم فيما وقع هي النسيان

(١) بدائع الفوائد لابن القيم ٢/ ٢٥٧، ٢٥٨.

﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾[طه: ١١٥].

علاج الوسوسة

وطـرق عـلاج الوسوسـة تتعـدد لتعـدد وسـائلها فكـل وسـيلة شيطانية للوسوسة لها العلاج الخاص بها.

ويمكن رصد مجموعة خطوات لعلاج الوسوسة كالآتي:

١- استصحاب قوله ﷺ: «تفكروا في مخلوقات الله ولا تفكروا في ذات الله»[١].

٢- استشعار عظم الله وجلاله والاجتهاد في شغل القلب بذلك.

٣- التذكر بأن عقولنا البشرية مهما كانت لا يمكنها قط إدراك حقيقة وكيفية صفات الله عز وجل، وإذا كان الإنسان لا يدرك كنه نفسه فكيف بالذات العلية؟

٤- تذكر ما آل إليه أئمة علم الكلام من الندم والرجوع صاغرين إلى منهج أهل السنة، وهو التسليم المطلق وتمنيهم إيمانًا كإيمان العجائز.

٥- الإكثار من التعوذ خاصة من الشك والريب.

قال تعالى: ﴿إِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِنَّهُ

---

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ١/ ١٣٦ بلفظ «تفكروا في آلاء الله يعني عظمته- ولا تفكروا في ذاته».

﴿هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[فصلت: ٣٦].

وقال: ﴿مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾ [الناس: ٤].

قال القرطبي في تفسير قوله[1]: «فاستعذ بالله»: (أي اطلب النجاة من ذلك بالله، فأمر تعالى أن يدفع الوسوسة بالالتجاء إليه، والاستعاذة به، ولله المثل الأعلى، فلا يُستعاذ من الكلاب إلا برب الكلاب.

وقد حكي عن بعض السلف أنه قال لتلميذه: ما تصنع بالشيطان إذا سوَّل لك الخطايا؟ قال: أجاهده؛ قال: فإن عاد؟ قال: أجاهده؛ قال: فإن عاد؟ قال: أجاهده؛ قال: هذا يطول، أرأيت لو مررت بغنم فنبحك كلبها ومنعك من العبور، ما تصنع؟قال: أكابده وأرده جهدي؛ قال: هذا يطول عليك، ولكن استغث بصاحب الغنم يكفه عنك).

وصحَّ عن أبي هريرة ﷺ كما أخرجه مسلم في صحيحه وغيره قال: قال رسول الله ﷺ: **«يأتي الشيطان أحدكم فيقول له: من خلق كذا وكذا حتى يقول له: من خلق ربك؟ فإذا بلغ ذلك فليستعذ بالله ولينته»**[2].

---

(١) تفسير القرطبي: ٧/ ٣٤٧- ٣٤٩.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب الوسوسة في الإيمان وما يقوله من وجدها.

وفي رواية في الصحيح عنه ﷺ: «**ذلك صريح الإيمان**»[١].

وعن ابن مسعود عند مسلم قال: سئل النبي ﷺ عن الوسوسة قال: «**تلك محض الإيمان**»[٢].

المراد بصريح أو محض الإيمان:

قال القرطبي: (هذا ليس على ظاهره، إذ لا يصح أن تكون الوسوسة نفسها هي الإيمان، لأن الإيمان اليقين، وإنما الإشارة إلى ما وجدوه من الخوف من الله تعالى، أن يعاقبوا على ما وقع في أنفسهم، فكأنه قال: جزعكم هذا هو محض الإيمان وخالصه، لصحة إيمانكم وعلمكم بفسادها.

فسمي الوسوسة إيمانًا، لما كان دفعها، والإعراض عنها، والرد لها، وعدم قبولها، والجزع منها صادرًا عن الإيمان، وأما أمره بالاستعاذة فلكون تلك الوساوس من آثار الشيطان).

٦- يكثر الموسوس من ترداد ما ورد عنه ﷺ في ذلك:
أخرج أبو داود في سننه بسنده إلى أبي زميل قال: «سألت ابن عباس، فقلت: ما شيء أجده في صدري؟ قال: ما هو؟ قلت: والله ما أتكلم به؛ قال: فقال لي:

(١) أخرجه أحمد في مسنده ٢/ ٢٩٧.
(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب الوسوسة في الإيمان وما يقوله من وجدها.

أشيء من شك؟ قال: وضحك، قال: ما نجا من ذلك أحد، قال: حتى أنزل الله عز وجل: ﴿فَإِن كُنْتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَؤُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ﴾ [يونس: ٩٤] قال لي: إذا وجدت في نفسك شيئًا فقل: ﴿هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[1] [الحديد: ٣].

٧- الإكثار من ذكر الله، لقوله تعالى: ﴿أَلاَ بِذِكْرِ الله تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨] فالإكثار من ذكر الله يطرد الشكوك ويجلب اليقين ويحرر صاحبه من الشيطان.

فالحرص على أذكار الصباح والمساء وفي كل المناسبات وعلى جميع الأحوال يحول بين وساوس الشيطان وخطراته ونزعاته، ومثال ذلك:

* **«لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير»** عشر مرات أو مائة، فقد جاء في فضلها: **«وكانت له حرزًا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي»**[2].

عندما يأوي المرء إلى فراشه يقرأ آية الكرسي، فكما صح من

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه كتاب الأدب باب في رد الوسوسة.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب بدء الخلق باب صفة إبليس وجنوده.

حديث أبي هريرة يرفعه: «إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي من أولها حتى تختم الآية: ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] وقال لي: لا يزال عليك من الله حافظ ولن يقربك الشيطان حتى تصبح»[١].

٨- إهمال الوساوس وعدم الاسترسال معها، والاجتهاد في طردها، هذا أنفع علاج لجميع أنواع الوساوس التي يتعرض لها الإنسان.

وهذا العلاج يحتاج إلى شيء من قوة الإرادة، وصدق العزيمة، أما من كان ضعيف الإرادة، خائر العزيمة، فلن تجدي معه هذه الوسيلة شيئًا.

٩- الإكثار من الدعاء والتضرع إلى الله عز وجل، والاستعاذة من الشك والشرك.

١٠- تذكر المرء لعداوة الشيطان الأبدية لبني آدم، وقسمه وإصراره على ذلك وأن كل ما يلقيه إلى بني آدم هو الشر المحض.

شبه الموسوسين ودحضها[٢]:

يرفع الموسوسون بعض الشبه تبريرًا لصنيعهم المنكر هذا،

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب بدء الخلق صفة إبليس وجنوده.

(٢) انظر إغاثة اللهفان لابن القيم: ١/ ١٢٨.

منها:

١- إنما حملنا على ذلك الاحتياط لديننا، مستدلين ببعض النصوص: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك»[١]، «من اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه»[٢]، «الإثم ما حاك في الصدر»[٣]، ونحو ذلك.

وليس في ذلك أدنى حجة لهم، لأن صنيعهم هذا مخالف لقائل ذلك ﷺ ولصحبه أعلم الخلق بتأويل ما يقول.

فالاحتياط المطلوب هو ما يكون موافقًا للسنة، لا ما يكون مخالفًا لها، وقائمًا على أنقاضها.

قال ابن تيمية: (والاحتياط حسن، ما لم يفض بصاحبه إلى مخالفة السنة، فإذا أفضى إلى ذلك فالاحتياط ترك هذا الاحتياط).

٢- وبما كان يفعله أبو هريرة، حيث كان إذا توضأ شرع في العَضد، وإذا غسل رجليه أشرع في الساقين، وبأن ابن عمر كان يغسل داخل عينيه في الطهارة، ونحو ذلك.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب البيوع باب تفسير المشبهات.
(٢) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان باب فضل من استبرأ لدينه.
(٣) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب البر والصلة والآداب باب تفسير البر والإثم.

والرد على ذلك أن فعل الصحابي إذا خالفه غيره فليس بحجة، فكيف إذا خالف السنة، وعمل الخلفاء الراشدين؟ فلا حجة لأحد في مخالفة السنة كائنًا من كان.

بل كان ابن عمر ينهي عن الاقتداء به في ذلك، قائلاً: «إن بي وسواسًا فلا تقتدوا بي».

وكذلك كان ينبه على ذلك سفيان الثوري رحمه الله.

٣- دعواهم أن التشدد خير من التقصير والتفريط، ونقول: كل من الإفراط والتفريط مذموم، إذ الحسنة بين سيئتين، ودين الله بين الغالي والجافي.

قال تعالى: ﴿وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾ [الإسراء: ٢٩]، وقال ﴿وكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلاَ تُسْرِفُوا﴾ [الأعراف: ٣١].

هلك المتنطعون:

وعقوبة الموسوسين الزجر والتأديب بما يناسب جرمهم، حتى ينتهوا عن تلاعبهم بهذا الدين، وابتداعهم فيه ما لم ينزل به سلطانًا بالقول والفعل.

فقد صح عنه أنه قال: «ألا هلك المتنطعون، ألا هلك المتنطعون، ألا هلك المتنطعون»(١).

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه كتاب السنة باب في لزوم السنة.

وقال ابن مسعود: «**والله الذي لا إله غيره، ما رأيت أحدًا كان أشد على المتنطعين من رسول الله، ولا رأيت بعده أحدًا كان أشد على المتنطعين من أبي بكر، وإني لأظن عمر ﷺ كان أشد أهل الأرض خوفًا عليهم**»[١].

وكان عليه الصلاة والسلام يبغض المتعمقين، حتى إنه لما واصل بهم ورأى الهلال قال: «**لو تأخر الهلال لواصلت وصالاً يدع المتعمقون تعمقهم**»[٢]، كالمنكل بهم.

من نوادر الموسوسين:

ذكر أبو الفرج بن الجوزي عن أبي الوفاء بن عقيل أن رجلاً قال له: أنغمس في الماء مرارًا كثيرة وأشكُّ، هل صحَّ لي الغسل أم لا، فما ترى في ذلك؟ فقال له الشيخ: اذهب، فقد سقطت عنك الصلاة؛ قال: وكيف؟ قال: لأن النبي ﷺ قال: «**رفع القلم عن ثلاثة: المجنون حتى يفيق، والنائم حتى يستيقظ، والصبي حتى يبلغ**»[٣] ومن ينغمس في الماء مرارًا ويشك هل أصابه الماء أم لا، فهو مجنون.

قلت: وحكى لي من أثق به عن موسوس عظيم رأيته يكرر

---

(١) أخرجه الدارمي في المقدمة باب من هاب الفتيا وكره التنطع والتبدع.
(٢) أخرجه البخاري كتاب التمني باب ما يجوز من اللهو.
(٣) أخرجه أبو داود في سننه كتاب الحدود باب في المجنون يسرق أو يصيب حدًا.

عقد النية مرارًا وكان أحدهم شديد التنطع في التلفظ بالنية والتقعر في ذلك، فاشتد به التنطع والتقعر يومًا إلى أن قال:أصلي، أصلي، مرارًا، صلاة كذا وكذا، وأراد أن يقول: أداء، فأعجم الدال، وقال: أذاء لله؛ فقطع الصلاة رجل إلى جانبه وقال: ولرسوله وملائكته وجماعة المصلين.

ومنهم من يتوسوس في إخراج الحرف حتى يكرره مرارًا.

فمنهم من يقول: الله أكككبر؛ قال: وقال إنسان منهم لأحد العلماء: قد عجزت عن قول «السلام عليكم»، فقال له: قل مثل ما قد قلت الآن، وقد استرحت.

وهكـذا كانـت الوسوسـة وبـالاً كبـيرًا عـلى صـاحبها والـتخلص منهـا مطلـوب.. ومطلـوب فيـه المجاهـدة وهـو مـن أعظم صفات المجاهدة أن تجاهد وسوسة الشياطين.

وستعرض عليك هنا ثلاثة مظاهر سلوكية راقية بالتزامك بها تبدئين الطريق أن تصبحي من المجاهدات لشيطانك وفي وسوسته لك وهي:

المظهر الأول: أن تدفعي الوسوسة عند الوضوء.

المظهر الثاني: أن تدفعي الوسوسة في الصلاة.

المظهر الثالث: مجاهدة وسوسته بالرياء.

المظهر الأول

أن تدفعي الوسوسة عند الوضوء

وكما تعودنا في مثل هذه الفصول نأخذ الأقل لنتمسك به ونلتزم به ونداوم عليه فيصل بنا ويتدرج إلى الأعلى.

الولهان

والمرتبة السادسة من مراتب الوسوسة التي ذكرها ابن القيم وهي الوسوسة بالاشتغال بالعمل المفضول عما هو أفضل .

نجد الشيطان يشغلك بعمل ترى أنه له فضل وثواب حتى لا تأتي بعمل ثوابه أكبر ونتيجته أفضل.

احذري الولهان:

في كتابه القيم (تلبيس إبليس) يتحدث ابن الجوزي عن تلبيس إبليس على العباد في الوضوء يقول: ومنهم من يلبس عليه بكثرة استعمال الماء وذلك يجمع أربعة أشياء مكروهة.

أ- الإسراف في الماء.

ب- وتضييع العمر القيم فيما ليس بواجب ولا مندوب.

جـ- وعدم القناعة بالشرع الذي قنع بالقليل من الماء.

د- وربما أطال الوضوء ففات وقت الصلاة.

ويقول لك إنك في عبادة ما لم تصح لا تصح الصلاة ولقد رأينا من ينظر في هذه الوساوس (أي يهتم بها) ولا يبالي بمطعمه ومشربه (أي من حلال أو حرام) ولا يحفظ لسانه من غيبة فليته قلب الأمر (أي يهتم بالمفضول بل بالذي لم يأمر به ويترك الأفضل).

وفي الحديث عن عبد الله بن عمرو أن النبي ﷺ مر بسعد وهو يتوضأ، فقال: «**ما هذا السرف يا سعد؟ قال: أفي الوضوء سرف؟ قال: نعم، وإن كنت على نهر جار**»[١].

وفي الحديث عن أبيّ عن النبي ﷺ قال: «**للوضوء شيطان يقال له الولهان فاتقوه. أو قال: فاحذروه وفي رواية: فاتقوا وسواس الماء**»[٢].

وعن الحسن ﷺ قال: شيطان الوضوء يدعى الولهان يضحك بالناس في الوضوء.

وكان ابن عقيل يقول أقل محصول عند العقلاء الوقت وأقل متعبد به الماء.

وروى أحمد والطبراني بسند رجاله ثقات كما قال سيد سابق عن عبيد الله بن أبي يزيد أن رجلاً قال لابن عباس (رضي الله

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده ٢/ ٢٢١ وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط إسناده ضعيف.

(٢) أخرجه الترمذي في جامعه كتاب أبواب الطهارة باب كراهية الإسراف في الوضوء.

عنهما): كم يكفيني من الوضوء؟ قال: من قال كم يكفيني للغسل؟ قال: صاع. فقال الرجل: لا يكفيني فقال ابن عباس لا أم لك (يدعو عليه) قد كفى من هو خير منك (يقصد النبي ﷺ).

والمد حوالي نصف لتر والصاع أربعة أمداد أي لترين.

وروى أحمد والنسائي وابن ماجة وابن خزيمة بأسانيد صحيحة -كما قال سيد سابق- أن أعرابيًّا جاء إلى النبي ﷺ يسأله عن الوضوء فأراه ثلاثًا ثلاثًا قال: «**هذا الوضوء من زاد على هذا فقد أساء وتعدى وظلم**»[1].

يقول الشيخ السيد سابق في فقه السنة: «والإسراف يتحقق باستعمال الماء لغير فائدة شرعية كأن يزيد على ثلاث مرات.

ولعلاج الوسوسة عند الوضوء ومنع النجاسات عمومًا إليك النصائح التالية.

١- استصحاب القاعدة الفقهية العظيمة: «اليقين لا يزال بالشك»، فما ثبت بيقين لا يرتفع إلا بيقين.

فيقينك أنك على طهارة لا يزيله شكك أنك أحدثت.

دليل ذلك ما صح عن أبي هريرة عند مسلم قال: «قال

---

(١) أخرجه النسائي في سننه كتاب الطهارة باب الاعتداء في الوضوء.

رسول الله ﷺ: **«إذا وجد أحدكم في بطنه شيئًا فأشكل عليه أخرج منه شيء أم لا؟ فلا يخرج من المسجد حتى يسمع صوتًا أو يجد ريحًا»**[(١)].

فمن كان متيقنًا أنه توضأ، ثم شك هل أحدث أم لا؟ فلا يلتفت إلى هذا الشك، ويبني على ما هو متيقن منه.

ولو استصحب الموسوسون هذه القاعدة وعملوا بها لتخلصوا من وساوسهم، ولأراحوا أنفسهم وأرغموا شياطينهم.

٢- عدم البول في المستحم، والمراد الماء الركد[(٢)]، فقد حذر رسول الله ﷺ من ذلك فقال: **«لا يبولن أحدكم في مستحمه ثم يغتسل فيه-** قال أحمد: **ثم يتوضأ فيه- فإن عامة الوسواس منه»**[(٣)].

والمقصود بـ المستحم الذي لا يتغير ماؤه مثل البانيو مثلاً إذا كان ممتلئًا بالماء.

٣- تذكر أن الحق هو ما جاء به الرسول ﷺ، الذي جاء بالحنيفية السمحة، وما سواه هو الباطل.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الوضوء باب لا يتوضأ من الشك حتى يستيقن.
(٢) مثل (البانيو) إذا كان مغلقًا.
(٣) أخرجه النسائي في سننه كتاب الطهارة باب كراهية البول في المستحم.

٤- الاقتداء والتأسي بمسلك السلف الصالح في هذا الجانب، حيث كانوا يتشددون ويحذرون مما يدخل في بطونهم حلالاً هو أم حرام، وما كانوا يغالون في مسائل الطهارة، والأمثلة على ذلك كثيرة جدًّا[١].

✍ روى أبو داود في سننه عن امرأة من بني عبد الأشهل قالت: «**قلت يا رسول الله، إن لنا طريقًا إلى المسجد متتنة، فكيف نفعل إذا تطهرنا؟ قال: أو ليس بعدها طريق أطيب منها؟ قالت: قلت: بلى؛ قال: فهذه بهذه**»[٢].

✍ وقال عبد الله بن مسعود ﷺ: «كنا لا نتوضأ من موطئ»، يعني إذا وطئ على المكان القذر الجاف لا يجب عليه غسل القدم.

✍ وسئل ابن عباس -رضي الله عنهما- عن الرجل يطأ العذرة؟ قال: «إن كانت يابسة فليس بشيء، وإن كانت رطبة غسل ما أصابه».

✍ وقال حفص: «أقبلت مع عبد الله بن عمر عامدين إلى المسجد، فلما انتهيت عدلت إلى المطهرة لأغسل قدمي من

(١) إغاثة اللهفان ١/ ١٤٤، وما بعدها

(٢) أخرجه أبو داود في سننه كتاب أبواب الطهارة باب الأذى يصيب الذيل.

شيء أصابهما، فقال عبد الله: لا تفعل، فإنك تطأ الموطئ الرديء، ثم تطأ بعده الموطئ الطيب- أو قال: النظيف- فيكون ذلك طهورًا؛ فدخلنا المسجد فصلينا جميعًا».

✍ وقال أبو الشعثاء: «كان ابن عمر يمشي بمنى في الفروث والدماء اليابسة حافيًا، ثم يدخل المسجد فيصلي فيه، ولا يغسل قدميه».

✍ وقال عمران بن حدير: «كنت أمشي مع أبي مِجْلَز إلى الجمعة، وفي الطريق عذرات يابسة، فجعل يتخطاها ويقول: ما هذه إلا سودات، ثم جاء حافيًا إلى المسجد فصلى، ولم يغسل قدميه».

✍ وقال عاصم الأحول: «أتينا أبا العالية فدعونا بوضوء، فقال: مالكم، ألستم متوضئين؟ قلنا: بلى، ولكن هذه الأقذار التي مررنا بها؛ قال: وهل وطئتم على شيء رطب تعلق بأرجلكم؟ قلنا: لا؛ فقال: فكيف بأشد من هذه الأقذار يجف، فينفسها الريح في رءوسكم ولحاكم».

وهذه الأحاديث والأقوال هي علاج شاف لكثيرين ممن يتعاملون في أمر الطهارة بطريقة تدل على مرض نفسي، فنجدهم موسوسين من كل شيء فيضيقون على انفسهم وعلى الناس حياتهم.

تشدُّد الموسوسين والمتنطعين:

هذه الشريعة مبناها على اليسر، ورفع الحرج، وعدم التكليف بما لا يطاق، وللأسف فإن هذه النعم العظيمة قد حرمها كثير من الناس بسبب تشددهم وتنطعهم وطاعتهم للشيطان، من ذلك:

١- نضح الفرج والسراويل بالماء دفعًا للوسوسة:

قال العلامة ابن القيم: (قال الشيخ أبو محمد[١]: ويستحب للإنسان أن ينضح فرجه وسراويله بالماء إذا بال، ليدفع عن نفسه الوسوسة، فمتى وجد بللاً قال: هذا من الماء الذي نضحته، لما روى أبو داود بإسناده عن سفيان بن الحكم الثقفي أو الحكم بن سفيان قال: «كان النبي ﷺ إذا بال توضأ وينضح[٢]»[٣].

وفي رواية: «رأيت رسول الله ﷺ بال ثم نضح فرجه»[٤].

وكان ابن عمر ينضح فرجه حتى يبل سراويله.

وشكا إلى الإمام أحمد بعض أصحابه أنه يجد البلل بعد الوضوء، فأمره أن ينضح فرجه إذا بال، قال: ولا تجعل ذلك من همتك، والهُ عنه.

---

(١) المقدسي في كتاب ذم الوسواس.

(٢) أي غسل فرجه.

(٣) أخرجه البيهقي في سننه الكبرى كتاب الطهارة باب الانتضاح بعد الوضوء لرد الوسواس.

(٤) أخرجه أبو داود في سننه كتاب أبواب الطهارة باب في الانتضاح.

وسئل الحسن أو غيره عن مثل هذا فقال: الهُ عنه؛ فأعاد عليه المسألة، فقال: أتستدره لا أب لك! الهُ عنه»[١].

لكن الموسوسين استعاضوا عن هذه السنة بأمور ما أنزل الله بها من سلطان هي: السَّلت، والنتر، والنحنحة، والمشي، والقفز، والحبل، و التفقذ، والوجور، والحشو، والدرجة[٢].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وذلك كله وسواس وبدعة، فراجعته- المراجع له ابن القيم- في السلت والنتر، فلم يره، وقال: لم يصح الحديث، قال: والبول كاللبن في الضرع، إن تركته قرَّ، وإن حلبته درَّ.

قال: ومن اعتاد ذلك ابتلي منه بما عوفي منه من لها عنه.

قال: ولو كان هذا سنة لكان أولى الناس به رسول الله ﷺ وأصحابه، وقد قال اليهودي لسلمان: «لقد علمكم نبيكم كل شيء حتى الخرأة؛ فقال أجل»[٣].

٢- لا يعيد الوضوء من مشي حافيًا:

فقد مر أن كثير من الصحابة والتابعين وتابعيهم كانوا

---

(١) إغاثة اللهفان ابن القيم ١/ ١٤٣.

(٢) كل هذه أساليب وحركات ليتأكدوا أن جميع البول قد نزل.. وأظنها معظمها للرجال وإن كان بعض النساء اشتكين لي من سلس بول ومع المراجعة تبين أنها نوع من الوسوسة.

(٣) أخرجه أبو داود في سننه كتاب الطهارة باب كراهية استقبال القبلة عند قضاء الحاجة.

يتوضأون ويمشون حفاة إلى المسجد، ومن الضروري أن تطأ أقدامهم بعض النجاسات الجافة، ثم لا يغسلون أقدامهم.

٣- الخف والنعال إذا إصابتهما نجاسة تزال بالدلك:

لما رواه أبو داود عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا وطئ أحدكم بنعله الأذى فإن التراب له طهور**»، وفي لفظ: «**إذا وطئ أحدكم الأذى بخفيه فطهورهما التراب**»(١).

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ أن رسول الله ﷺ: «صلى فخلع نعليه، فخلع الناس نعالهم، فلما انصرف قال: لمَ خلعتم؟ قالوا: يا رسول الله، رأيناك خلعت فخلعنا، فقال: **إن جبريل أتاني فأخبرني أن بهما خبثًا، فإذا جاء أحدكم المسجد فليقلب نعليه، ثم لينظر فإن رأى خبثًا فليمسحه بالأرض، ثم ليصلي فيهما**»(٢).

وكذلك ذيل المرأة يطهره ما بعده، لما صح أن امرأة قالت لأم سلمة: إني أطيل ذيلي وأمشي في المكان القذر؛ فقالت: قال رسول الله ﷺ: **يطهره ما بعده**»(٣).

٤- الصلاة في النعال:

لقد أمر رسول الله ﷺ بالصلاة في النعال مخالفة لليهود.

---

(١) أخرجه ابن خزيمة كتاب الوضوء باب نضح الثوب.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده ٣/ ٢٠.

(٣) أخرجه أبو داود في سننه كتاب أبواب الطهارة باب في الأذى يصيب الذيل.

فعن شداد بن أوس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«خالفوا اليهود فإنهم لا يصلون في نعالهم ولا خفافهم»** (١).

قال ابن القيم: (ومما لا تطيب به قلوب الموسوسين الصلاة في النعال، وهي سنة رسول الله ﷺ وأصحابه، فعلا منه وأمرًا، فروى أنس بن مالك ﷺ أن رسول الله ﷺ: **«كان يصلي في نعليه»** [متفق عليه] وقيل لأحمد: أيصلي الرجل في نعليه؟ فقال: «إي والله» (٢).

وترى أهل الوسواس إذا بلي أحدهم بصلاة الجنازة في نعليه قام على عقبيهما كأنه واقف على الجمر، حتى لا يصلي فيهما) (٣).

٥- الصلاة فيما تيسر من الأماكن:

قال ﷺ: **«جعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا، فحيثما أدركت رجلاً من أمتي الصلاة فليصل»** (٤).

قال ابن القيم: وكان يصلي في مرابض الغنم، وأمر بذلك، ولم يشترط حائلاً.

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه كتاب الصلاة باب الصلاة في النعل.
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الصلاة باب الصلاة في النعال ومسلم في المساجد ومواضع الصلاة باب جواز الصلاة في النعلين.
(٣) إغاثة اللهفان ١/ ١٤٧.
(٤) أخرجه البخاري في صحيحه أول كتاب التيمم ١/ ١٢٥ ومسلم في صحيحه أول كتاب المساجد ومواضع الصلاة ح (٥٢١).

قال ابن المنذر: أجمع كل من يُحفظ عنه من أهل العلم على إباحة الصلاة في مرابض الغنم إلا الشافعي، فإنه قال: أكره ذلك، إلا إذا كان سليمًا من أبعارها.

إلى أن قال:

فأين هذا الهدي من فعل مَنْ لا يصلي إلا على سجادة تفرش فوق البساط فوق الحصير، ويضع عليها المنديل، ولا يمشي على الحصير ولا على البساط، بل يمشي عليها نقرًا كالعصفور؟ فما أحق هؤلاء بقول ابن مسعود: «لأنتم أهدى من أصحاب محمد، أو أنتم على شعبة من ضلالة».

وقد صلى النبي ﷺ على حصير قد اسود من طول ما لبس، فنضح له بالماء وصلى عليه، ولم يفرش له فوقه سجادة ولا منديل، وكان يسجد على التراب تارة، وعلى الحصى تارة، وفي الطين تارة، حتى يُرى أثره على جبهته وأنفه، وقال ابن عمر: كانت الكلاب تقبل وتدبر وتبول في المسجد، ولم يكونوا يرشون شيئًا من ذلك»[1].

وهكذا تطبيقًا للتيسير في العبادة وهو مقصد أسمى من المقاصد التي جاء بها الإسلام تدربين نفسك على الانضباط بسنة النبي في التعامل مع الماء في مسائل الوضوء والطهارة وتخرجين

(١) إغاثة اللهفان ١/ ١٤٩.

من أغلال وسوسة الشيطان في هذا المجال وأحذرك مرة أخرى من الولهان.

أرأيت الشجرة الضخمة القائمة تقاوم الريح فلا تهتز، حتى يأتي يوم تأتي هذه الرياح فتضرب تلك الشجرة فتتناثر، ذلك لأن حشره دخلت في جوفها فنخرت أخشابها فجعلتها هباءً منثورًا فما تلك الحشرة التي تنخر أشجار أعمالنا فتدمرها؟، هل يمكن أن تطلق عليها كلمة (ليقال).

فقد قيل:

اسمعي ما رواه مسلم عن هؤلاء الثلاثة الذين حدثتك عنهم من قريب الشهيد وقارئ القرآن والمنفق الذين بحثنا عنهم في الجنة حيث ظننا أن يكونوا فلم نجدهم، ولنعرف من النبي ﷺ أين هم؟ ولماذا كانت تلك منزلتهم يوم القيامة؟

عن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن أول الناس يقضي يوم القيامة عليه رجل استشهد فأتى به فعرفه نعمته فعرفها قال: فما عملت فيها؟ قال قاتلت فيك حتى استشهدت، قال: كذبك، ولكنك قاتلت لأن يقال: جريء فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتى به فعرفه نعمته فعرفها قال: فما فعلت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن**

قال: كذبك ولكنك تعلمت ليقال: عالم وقرأت ليقال: هو قارئ، فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال فأتى به فعرفه نعمه فعرفها قال: فما عملت فيها؟ قال ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك قال: كذبت ولكنك فعلت ليقال: هو جواد فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه ثم ألقي في النار»(١).

أرأيت ماذا فعلت (ليقال) في الأعمال.

فالسبب الأساسي لأن يصبح العمل هباءً منثورًا هو الرياء ومعناه أن تعمل العمل ليقال أو يراك الناس أو ليمدحوك به..

﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠] ومن معاني الشرك في العبادة هنا أن يتوجه العمل الذي لله إلى الناس.

ولذلك كان دعاء عمر بن الخطاب: «اللهم اجعل عملي صالحًا واجعله لوجهك خالصًا ولا تجعل لأحد فيه شيئًا».

وهذا مدخل عظيم من مداخل الشيطان وهو وسوسته بالرياء.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإمارة باب من قاتل للرياء والسمعة استحق النار.

ادفعي الرياء:

ومن مظاهر مجاهدتك لوسوسة الشيطان أن تدفعي هذا الرياء عنك.

والشيطان عندما توعد ابن آدم قال كما أخبر الله (سبحانه وتعالى): ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾[الأعراف: ١٦].

فالشيطان على طريق الحق قاعد لك إذا لم يستطع منعك من فعل الخير وجه نيتك لغير الله وبدأ بوسوسة الرياء بأن تجدي في نفسك الرغبة في أن يرى عملك الناس، أو كما عبر الحبيب المصطفى ﷺ (ليقال).

وروى مسلم عن أبي هريرة ﷺ قال:

سمعت رسول الله ﷺ يقول: قال الله تعالى: **أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري، تركته وشركه»**[1].

وروى البخاري ومسلم عن جندب بن عبد الله بن سفيان ﷺ قال: قال النبي ﷺ: **«من سمع سمع الله به، ومن يرائي رائي الله به»**[2].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الزهد والرقائق باب من أشرك في عمله غير الله.
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الرقاق باب الرياء والسمعة ومسلم في الزهد والرقائق باب من أشرك في عمله غير الله.

يقول الإمام النووي: «وسمع» أي أظهر عمله للناس رياءً.

«وسمع الله به» أي فضحه يوم القيامة.

«من يرائي» أي من أظهر للناس العمل الصالح ليعظم عندهم.

«وراءى الله به» أي أظهر سريرته على رءوس الخلائق.

وروى أبو داود بإسناد صحيح عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«من تعلم علمًا مما يبتغي به وجه الله عز وجل لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضًا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة»**[1] يعني ريحها.

وحتى لا يتحول الأمر بالشيطان إلى اللعب بنا ويتحول الخوف من الرياء إلى وسوسة، فانظري إلى ما قاله النووي في كتاب رياض الصالحين بعد باب تحريم الرياء.

يقول: **«باب ما يتوهم أنه رياء وليس هو رياء»**.

روى مسلم عن أبي ذر ﷺ قال: قيل لرسول الله ﷺ: أرأيت الرجل يعمل العمل من الخير، ويحمده الناس عليه؟ قال: **تلك عاجل بشرى المؤمن»**[2].

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه كتاب العلم باب في طلب العلم لغير الله تعالى.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب البر والصلة والآداب إذا أثني على الصالح فهي بشري ولا تضره.

علامات ومعالم

رأى عمر بن الخطاب رجلاً يطأطئ رقبته فقال له: يا صاحب الرقبة ارفع رقبتك ليس الخشوع في الرقاب إنما الخشوع في القلوب.

ورأى أبو أمامة الباهلي ﷺ رجلاً في المسجد يبكي في سجوده فقال: «أنت أنت لو كان هذا في بيتك».

أي أنت على خير شديد والأفضل أن تخفي هذا البكاء.

وقال علي -كرم الله وجهه- للمرائي أربع علامات:

- يكسل إذا كان وحده.
- وينشط إذا كان في الناس.
- ويزيد في العمل إذا أثنى عليه.
- وينقص إذ ذم.

وقال الفضيل بن عياض: «كانوا يراءون بما يعملون وصاروا اليوم يراءون بما لا يعملون».

وقال قتادة: «إذا راءى العبد يقول الله تعالى: انظروا إلى عبدي يستهزئ بي».

قال ﷺ حين سأله رجل فقال: يا رسول الله فيم النجاة؟ فقال: «**أن لا يعمل العبد بطاعة الله يريد بها الناس**».

وقال: «إن الله تعالى يقول لملائكته : إن هذا لم يردني بعمله فاجعلوه في سجين»[١].

وقال ﷺ: «إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر» قالوا وما الشرك الأصغر يا رسول الله قال: «الرياء»[٢]. يقول الله عز وجل يوم القيامة إذا جازى العباد بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم الجزاء وقال ﷺ: «استعيذوا بالله عز وجل من جب الحزن قيل وما هو يا رسول الله قال «وادٍ في جهنم أعد للقراء المرائين»[٣] وقال ﷺ: يقول الله عز وجل: من عمل لي عملاً أشرك فيه غيري فهو له كله وأنا منه بريء وأنا أغنى الأغنياء عن الشرك»[٤].

وقال عيسى المسيح عليه السلام: إذا كان يوم صوم أحدكم فليدهن رأسه ولحيته ويمسح شفتيه لئلا يرى الناس أنه صائم وإذا أعطى بيمينه فليخف عن شماله وإذا صلى فليرخ ستر بابه فإن الله يقسم الثناء كما يقسم الرزق.

وقال نبينا ﷺ «لا يقبل الله عز وجل عملاً فيه مثقال ذرة من رياء».

---

(١) أخرجه أبو نعيم الأصبهاني في حلية الأولياء ٣/ ٧٠.
(٢) أخرجه أحمد في مسنده ٥/ ٤٢٨.
(٣) أخرجه الترمذي في جامعه كتاب الزهد باب الرياء والسمعة.
(٤) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الزهد والرقائق باب من أشرك في عمله غير الله.

وقال عمر لمعاذ بن جبل حين رآه يبكي: ما يبكيك قال: حديث سمعت من صاحب هذا القبر يعني النبي ﷺ يقول: «**إن أدنى الرياء شرك**»[١].

وقال ﷺ: «أخوف ما أخاف عليكم الرياء والشهوة الخفية»[٢].

وقال شداد بن أوس: رأيت النبي ﷺ يبكي فقلت: ما يبكيك يا رسول الله قال: «**إني تخوفت على أمتي الشرك أما إنهم لا يعبدون صنمًا ولا شمسًا ولا قمرًا ولا حجرًا ولكنهم يراءون بأعمالهم**»[٣].

وقال رجل لعبادة بن الصامت: أقاتل بسيفي في سبيل الله أريد به وجه الله تعالى ومحمدة الناس قال: لا شيء لك فسأله ثلاث مرات كل ذلك يقول: لا شيء لك ثم قال في الثالثة: (**إن الله يقول أنا أغنى الأغنياء عن الشرك**)[٤].

وسأل رجل سعيد بن المسيب فقال: إن أحدنا يصطنع المعروف يحب أن يحمد ويؤجر فقال له: أتحب أن تمقت قال: لا

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك كتاب معرفة الصحابة باب ذكر مناقب أحد الفقهاء والسنة من الصحابة.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده ٤/ ١٢٣.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك أول كتاب الرقاق ٤/ ٣٦٦.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الزهد والرقائق باب من أشرك في عمله غير الله.

قال: فإذا عملت لله عملاً فأخلصه.

وقال الضحاك: لا يقولن أحدكم هذا لوجه الله ولوجهك ولا يقولن هذا لله وللرحم فإن الله تعالى لا شريك له.

وضرب عمر رجلاً بالدرة ثم قال له: اقتص مني! فقال: لا بل أدعها لله ولك.

فقال له عمر: ما صنعت شيئًا إما أن تدعها لي فأعرف ذلك أو تدعها لله وحده فقال: ودعتها لله وحده فقال: فنعم إذن.

وقال عكرمة: إن الله يعطي العبد على نيته ما لا يعطيه على عمله لأن النية لا رياء فيها.

وقال محمد بن المبارك الصوري: أظهر السمت بالليل فإنه أشرف من سمتك بالنهار لأن السمت بالنهار للمخلوقين وسمت الليل لرب العالمين.

وقال إبراهيم بن أدهم: ما صدق الله من أراد أن يشتهر.

* * *



أن تدفعي وسوسته في الصلاة

المختلس:

روى البخاري عن عائشة (رضي الله عنها) قالت: سألت رسول الله ﷺ عن الالتفات في الصلاة فقال: «**هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد**»[1].

وهذا نوع آخر من مجاهدة وسوسة الشيطان هو مجاهدة وسوسته في الصلاة.

وقضية الشيطان مع الصلاة معروفة وكانت نكسته الكبرى في سجدة واحدة أمره الله بها فعصى فلذلك هو يكره أن يرى ابن آدم ساجدًا مصليًا فيعود له في صلاته يوسوس له حتى يصرفه عن أهم ركن فيها وهو الخشوع.

ويتسلل إليه تسلل اللص حتى يختلس من صلاته كما بين النبي ﷺ لعائشة (رضي الله عنها) ذلك بأن يلتفت الإنسان في صلاته.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب صفة الصلاة باب الالتفات في الصلاة.

ويعقد ابن الجوزي فصلاً في كتابه تلبيس إبليس بعنوان: ذكر تلبيسه على العباد في الصلاة، يقول: «من ذلك تلبيسه عليهم في الثياب التي يستتر بها فترى أحدهم يغسل الثوب الطاهر مرارًا وربما لمسه مسلم فيغسله».

وهذا من الأمور التي تجعل المرأة تتقاعس عن صلاتها وخاصة إذا كانت ذات مولود جديد فتجدها في شك مستمر من ثيابها وطهارتها، حتى يجعلها ذلك في عنت شديد، ويكفيها أن تزيل النجاسة إن وجدت وتغسل مكانها، أو أن تجعل لها ثيابًا مخصصة للصلاة.

ويقول ابن الجوزي:

ومن ذلك تلبيسه عليهم في نية الصلاة فمنهم من يقول أصلي صلاة كذا، ثم يغير ظنًّا منه أنه نقض النية والنية لا تنقض.

ومنهم من يكبر ثم يكبر، حتى إذا ركع الإمام كبر الموسوس وركع معه، فليت شعري ما الذي أحضر النية حينئذٍ؟ وما ذاك إلا لأن إبليس أراد أن يفوته فضيلة تكبيرة الإحرام.

والشريعة السمحة سهلة سليمة من هذه الآفات وما جرى لرسول الله ﷺ ولأصحابه شيء من هذا.

ويقول ابن الجوزي:

وكشف هذا التلبيس أن يقال للموسوس: إن كنت تريد

إحضار النية فالنية حاضرة لأنك قمت لتؤدي الفريضة وهذه النية ومحلها القلب لا اللفظ.

وقد حكى لي بعض الأشياخ عن ابن عقيل حكاية عجيبة أن رجلاً لقيه فقال: إني أغسل العضو فأقول ما غسلته، وأكبر وأقول ما كبرت، فقال له ابن عقيل: دع الصلاة فإنها ما تجب عليك.

فقال قوم له: كيف تقول هذا؟ فقال لهم قال النبي ﷺ: **«رفع القلم عن المجنون حتى يفيق»**[1].

فمن يكبر ويقول ما كبرت فليس بعاقل ولا تجب عليه الصلاة.

ويقول عبد الله بن عمر: ما رأيت أحدًا كان أشد على المتنطعين من رسول الله ﷺ ثم أبو بكر وإني لأظن أن عمر كان أشد أهل الأرض خوفًا عليهم.

ومن الموسوسين من إذا صحت له النية وكبر ذهل عن باقي صلاته وانشغل بالتفكير في أمور الحياة حتى نهاية الصلاة كأن المقصود من الصلاة التكبير فقط.

وقد لبس إبليس على بعض المصلين في مخارج الحروف،

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الطلاق باب الطلاق في الإغلاق والكره والنكران والنسيان في الطلاق والمجنون.

حتى إنه يقول المغضوب فيخرج بصاقه مع إخراج الضاد، فيشغلهم إبليس بالمبالغة عن فهم التلاوة.

* **خنزب**:

نعم هذا اسم أحد الشياطين، مخصص للوسوسة في الصلاة أخبر عنه رسول الله ﷺ.

روى مسلم عن عثمان بن أبي العاصي قال: قلت لرسول الله ﷺ: إن الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي وقراءتي يلبسها عليَّ؛ فقال ﷺ: **ذلك الشيطان يقال له خنزب، فإذا أحسسته فتعوذ بالله منه ثلاثًا واتفل عن يسارك؛ ففعلت ذلك فأذهبه الله عني»**[1].

وخنزب اللعين يأتيك في الصلاة على هيئة وسوسة يشغلك لمجرد دخولك للصلاة بنفسك وأولادك وجيرانك وطبيخك وملابسك وغير ذلك حتى يختلس منك صلاتك، وكلما اشتد إيمان العبد اشتد الشيطان حتى يصل إلى أن يحاول شغلك بأشكال وصور أمامك، تعالى لنرى ماذا كان يفعل الشيطان مع رسول الله ﷺ وكيف استطاع ﷺ مجاهدته.

الأسير:

روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة قال: سمعت رسول

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب السلام باب التعوذ من شيطان الوسوسة في الصلاة؟

الله ﷺ يقول إن عفريتًا من الجن جعل يفتك عليَّ البارحة ليقطع عليَّ الصلاة وإن الله أمكنني منه فذعته فلقد هممت أن أربطه إلى جنب سارية من سواري المسجد حتى تصبحوا فتنظرون إليه أجمعون ثم ذكرت قول أخي سليمان ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لاَّ يَنبَغِي لأَحَدٍ مِّن بَعْدِي﴾[ص: ٣٥] فرده الله خاسئًا[(١)(٢)].

فلما ذكر النبي ﷺ دعاء سيدنا سليمان وأن الجن من ملكه تأدب وتواضع فلم يربطه وتركه، فرد الله الشيطان خاسئًا ذليلاً مطرودًا.

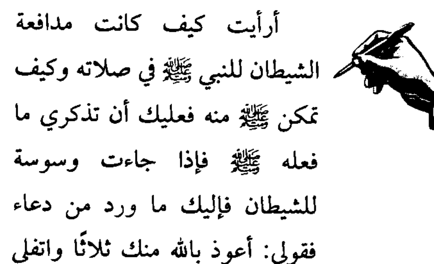
وروى مسلم عن أبي الدرداء، قال: قام رسول الله ﷺ (أي يصلي) فسمعناه يقول: «**أعوذ بالله منك**». ثم قال: «**ألعنك بلعنة الله**» ثلاثًا وبسط يده كأنه يتناول شيئًا، فلما فرغ من الصلاة قلنا: يا رسول الله قد سمعناك تقول في الصلاة شيئًا لم نسمعك تقوله قبل ذلك ورأيناك تبسط يدك. قال: «**إن عدو الله إبليس جاء بشهاب من نار ليجعله في وجهي فقلت أعوذ بالله منك ثلاث**

---

(١) قال النووي:
والفتل: الأخذ في غفلة وخديعة.
والعفريت هو العاتي المارد من الجن.
ودعته أو ذعته أي خنقته ومعناه دفعته دفعًا شديدًا.
وسارية أي عمود من أعمدة المسجد.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب أبواب المساجد باب الأسير أو الغريم يربط في المسجد؛ ومسلم كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب جواز لعن الشيطان أثناء الصلاة..

مرات ثم قلت ألعنك بلعنة الله التامة فلم يستأخر ثلاث مرات ثم أردت أن آخذه والله لولا دعوة أخي سليمان لأصبح موثقًا يلعب به ولدان أهل المدينة»(١).



أرأيت كيف كانت مدافعة الشيطان للنبي ﷺ في صلاته وكيف تمكن ﷺ منه فعليك أن تذكري ما فعله ﷺ فإذا جاءت وسوسة للشيطان فإليك ما ورد من دعاء فقولي: أعوذ بالله منك ثلاثًا واتفلي عن يسارك.

ومن الطرائف أن رجلاً جاء يشكو حاله للإمام ابن تيمية وأن الشيطان يأتيه في صلاته فأمره أن يتعوذ بالله منه فقال له إن اليهود يعايروننا يقولون إن الشيطان يأتيكم في عبادتكم ولا يأتينا، فرد عليه ابن تيمية ﷺ قولوا لهم: إن اللص لا يدخل البيوت الخربة وإنما يدخل البيوت العامرة.

فلأن قلبك عامر بالإيمان فإن الشيطان يأتي فلا تدعيه يختلس من صلاتك أو يسرق من بيتك شيء.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب جواز لعن الشيطان في أثناء الصلاة والتعوذ منه وجواز العمل.

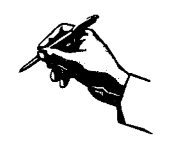
وأيضًا روى أن رجلاً ضاع منه شيء فقيل له اذهب إلى أبي حنيفة فاسأله عنه وكان مشهورًا بالذكاء والحكمة. فقال له الإمام لما جاءه: ومالي وضالتك إنما أنا فقيه.

فألح عليه الرجل فقال له أبو حنيفة: أصبر أحتال لك أي أجد لك حيلة ثم قال له، اذهب فإذا كان ثلث الليل قم من نومك وتوضأ فأحسن الوضوء وقف بين يدي الله فصلِّ فعسى الله أن يعثرك في ضالتك.

فذهب الرجل ففعل مثل ما أمره أبو حنيفة فلما بدأ في صلاته إذا به يتذكر مكان ضالته فيخرج من صلاته ويهرول إليها ليجدها.

فلما ذهب إلى أبي حنيفة أخبره فضحك أبو حنيفة ومن معه وقال: إني كنت أعلم أن الشيطان لن يدعك تصلي لله تلك الليلة، فلولا أتممت صلاتك، شكرًا لله.

روح الصلاة:



فعليك أختي المسلمة أن تهتمي بمجاهدة وسوسة الشيطان في صلاتك حتى لا تكون صلاة ميتة وتفقد روحها وهو الخشوع.

فقد رأى حذيفة ﷺ رجلاً يعبث بيده في الصلاة فقال: لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه وقال علي ﷺ: «الخشوع

خشوع القلب ألا تلتفت يمينًا ولا شمالاً».

خشوع النفاق:

ويقول أبو الدرداء ﷺ: استعيذوا بالله من خشوع النفاق، فقالوا: وما خشوع النفاق، قال: أن ترى الجسد خاشعًا والقلب ليس بخاشع.

ونظر عمر إلى شاب قد نكس رأسه فقال له: يا هذا ارفع رأسك فإن الخشوع لا يزيد على ما في القلب فمن أظهر خشوعًا غير ما في قلبه فإنما هو نفاق على نفاق.

يقول ابن رجب في رسالة الخشوع في الصلاة: «وكان علي ابن الحسين (رضي الله عنهما) إذا توضأ اصفر لونه فقيل له: ما هذا الذي يعتادك عند الوضوء؟ فقال: أتدرون بين يدي من أريد أن أقوم».

ويتفاوت الخشوع في القلوب بحسب تفاوت معرفتها لمن خشعت له، فمن خاشع لقوة مطالعته لقرب بالله من عبده وإطلاعه على سره وضميره اقتضي ذلك الاستحياء من الله (تعالى) ومراقبته في الحركات والسكنات.

ومن خاشع لمطالعته لكماله وجماله اقتضى ذلك الاستغراق في محبته والشوق إلى لقائه ورؤيته.

ومن خاشع لمطالعته شدة بطشه وانتقامه وعقابه اقتضي ذلك الخوف منه، وهو سبحانه وتعالى جابر القلوب المنكسرة من أجله.

﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الحَقِّ﴾ [الحديد: ١٦].

وبذلك قد اكتمل لك مظهر آخر من مظاهر مجاهدة وسوسة الشيطان أن تدفعي وسوسته في الصلاة.

* * *



مجاهدة وسوسته بالرياء

هباءً منثورًا

أيتها المرأة المؤمنة هل قرأت هذه الآية يومًا: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣]. هل تخيلت بعدها أصحاب الأعمال الكبيرة العظيمة التي تبهرك؟..

ثم هل تخيلت أن تأتي هذه الأعمال كالجبال يوم القيامة وقد اطمأن صاحبها بها وعلم أنها سبيله لدخول الجنة وفجأة تتحول هذه الأعمال إلى.. إلى ماذا؟ العجيب أنها تتحول إلى لا شيء إلى هباء.. هباء منثور.

إن العمل الصالح هو هدف المسلم في هذه الحياة وإن كان الله لن يدخل أحدًا الجنة بعمله ولكن برحمته كما أخبر رسول الله ﷺ فإن الله تعالى لا يكتب هذه الرحمة لكسلان ولا متهاون فيما أمر به: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا﴾ [الأعراف: ١٥٦].

حتى الكلمة الطيبة ترتفع بالعمل الصالح.

﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر:١٠] والمصيبة كل المصيبة أن يأتي الإنسان فيجد هذه الأعمال التي قدمها لتحجب عنه النار وترفع وتجعله أهلاً لرحمة الله، هباءً إلى الله منثورًا.

ثلاثة على الأبواب:

ماذا ترين موقع قارئ قرآن يوم القيامة ومعلمه للناس، وأين تظنين أن تجدي شهيدًا يوم القيامة وفي أي موقع يكون المنفق ماله على عباد الله إحسانًا يوم القيامة.

تقولين الجنة، بل أعلى عليين في الجنة، أقول لك ذلك الحق، ولكن بشرط ألا ينقلب كل هذا هباءً منثورًا.

وهكذا أختي المسلم تمت لك الصفة السابعة من الصفات العشرة على طريق إدارة الذات ويمكن أن ألخصها لك في الجدول التالي ليصبح مرشدًا لكِ لتسلكي مظاهر تلك الصفة وتراجعي نفسك حولها مع رصد تقييمك لذاتك:

المجال	الصفة	المظاهر	التقييم
(٧) مجاهدة لنفسها.	١- تصبرين على الطاعات	١- الصبر على طاعة الزوج.	
		٢- الصبر على صيام النوافل.	
	٢- تجتهدين في كتم السر.	تكتمين سر الزوج	
	٣- تجاهدين الوسوسة.	١- تدفعين الوسوسة عند الوضوء.	
		٢- تدفعين الوسوسة في الصلاة.	
		٣- تجاهدين وسوسته بالرياء.	

* * *



ضيفة الشرف

زينب الغزالي

جِهاد ومُجاهَدَة



ولدت زينب في ٨ من ربيع أول ١٣٣٥هـ/ ٢ من يناير ١٩١٧م بقرية ميت يعيش/ مركز ميت غمر/ محافظة البحيرة.

كان والدها من علماء الأزهر الشريف، غير أنه لم يعمل في مجال الدعوة، فقد صار أحد تجار القطن المعروفين، وكانت عائلة «الجبيلي» ولا تزال- هي كبرى عائلات قرية «ميت يعيش».

ولدت زينب كأول بنت لأبيها (فكانت الأثيرة) بعد أشقائها: سعد الدين وعلي ومحمد، ثم جاء بعدها سيف الدين وحكمت وعبد المنعم وحياة..

اهتم والدها بها اهتمامًا كبيرًا وكان يصطحبها معه في مجالسه الخاصة وهي في سن الرابعة والخامسة، فانطبعت هذه المرحلة في ذهنها، وأثرت في تكوينها بعد ذلك أبلغ التأثير، وظلت طوال حياتها تستقي منها القوة والعزيمة والإرادة والاعتزاز برسالتها ومسئوليتها..

ليست ككل البنات:

زادت هذه الرؤيا من تعلق الأب بابنته، ومن إحساسه بأنها

ستكون ذات شأن عظيم، فأصبح يناديها باسم السيدة زينب، ويقول لها: أنت تشبهين نسيبة بنت كعب المازنية الصحابية الجليلة التي أبلت بلاء حسنًا في الدفاع عن رسول الله ﷺ يوم أحد.

وكان الأب يعطيها سيفًا خشبيًا- (الذي كان منتشرًا في تلك الفترة فقد كان خطيب الجمعة يمسك بيده سيفًا خشبيًّا)- ويقول لها- وهي لا تزال في سنوات الطفولة-: هيا دافعي عن رسول الله ﷺ. فتتخيل الطفلة أنها في حرب ضد الكفار والمشركين، وتنطلق تضرب يمنة ويسرة لتقتل أعداء الدين..

كان الشيخ محمد الغزالي -والدها- تاجرًا معروفًا بكرمه وعطائه، وكانت الوفود والضيوف تأتيه من كل مكان، وكانت هذه فرصة لتكتسب الطفلة الصغيرة الكثير من جرأتها وشجاعتها التي ميزتها بعد ذلك طوال حياتها..

كان والدها يطلب منها أن ترحب بالضيوف بأبيات شعر علمها إياها، منها:

أهلا بكم.. أهلا بكم يا من بهم تم النظام
شرفتنا... آنستنا أهل العلا وذوي المقام

وعندما كان يذهب لصلاة الفجر في المسجد كان يصطحبها وهي في سن الخامسة، فتربت على حب المساجد والاطمئنان في رحابها، والسعي لإعمارها والتربية من خلالها.

وكان والدها- رحمه الله- يؤكد على مسامعها أنها ليست ككل البنات، لا يليق بها أن تلعب وتلهو مثلهن، ولا يرحب- حتى بعد أن أصبحت صبية في العاشرة من عمرها- أن تقوم بأعمال البيت من ترتيب وتنظيف وغسيل وطبيخ، مادام في البيت من يقوم- من عاملات البيوت- بهذه الأعمال، فهي- أي: السيدة زينب- لها رسالة أخرى.. لها مهمة كبرى وهي الدفاع عن الإسلام ونشر تعاليمه وإيقاظ الأمة من جديد.

نفحة عمرية:

يرجع نسب زينب من جهة والدها إلى سيدنا عمر بن الخطاب ومن جهة أمها إلى الحسين بن علي، وكانت تقول: إن أحد الأمراء الذين فتحوا مصر كان يدعى الأمير الجبيلي، وربما هناك إحدى القرى في الشرقية تدعى قرية (الجبيلي)، وكان من بين الأمور التي أثرت في حياتها أن والدها رأى رؤية أنه كان يحملها ثم سقطت منه على الأرض، وعندما هم بالتقاطها وجدها لم تصل إلى الأرض ووجد من يرفعها ويعطيها له، ويقول له: أنا جدها عمر بن الخطاب، فظلت هذه الرؤية تؤثر بشكل كبير فيها وفي حياتها.

وفاة الأب الحنون:

في عام ١٩٢٨م توفى والدها جراء أزمة حادة تعرضت لها تجارته، ولكنه كان قد ترك بصمته المباركة على الابنة الصالحة،

ولما تتجاوز العاشرة، فانتقلت الأسرة إلى القاهرة، حيث يدرس ويعمل الأخ الأكبر محمد.

تطلعت نفس زينب إلى العلم والمعرفة، غير أن هذا التطلع قوبل بمعارضة محمد، الذي كان يخشى عليها من جرأتها، لكن الأخ الثاني (عليًّا) كان له رأي ثانٍ، فقد رأى في تعليم زينب صقل لأفكارها وشخصيتها.

ساهمت مكتبة والدها- العالم الأزهري العامرة في تفتح وعيها وإدراكها وصقل روحها وعقلها، ما أصل في نفسها وأكسبها القوة في الحق والجهاد في سبيله، كما بدأ أخوها علي يهدي لها الكتب المتنوعة، فبدأت رحلة العلم والمعرفة.

موعد مع الناظر:

ذات صباح خرجت زينب من منزلها بحي شبرا، للتجول وتوقفت أمام مدرسة خاصة بالبنات، وطلبت من البواب مقابلة المدير، فسألها: لأي غرض؟ فقالت بثقة: أنا السيدة زينب الغزالي الشهيرة بنسيبة بنت كعب المازنية.. ولدي موعد معه.. فأدخلها البواب وهو يتعجب من الصغيرة الواثقة.

دخلت زينب مكتب المدير وبادرته قائلة في طريقة آلية: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. أنا السيدة زينب الغزالي، ولقبي نسيبة بنت كعب المازنية.. فنظر إليها الرجل، وتصور أن بها مسًّا من الجن.. ثم سألها ماذا تريدين يا سيدة زينب أو يا

سيدة نسيبة؟ فقصت عليه قصتها وموقف شقيقها الأكبر من تعليمها وطلبت منه أن يقبلها طالبة في مدرستها.. وعندما سأل عن والدها وأخيها عرفها وعرف أسرتها.. وعرف جدها تاجر الأقطان المشهور ووالدها الأزهري المعروف..

وأعجب مدير المدرسة بذكاء الفتاة وجرأتها.. فطلب منها إحضار أخيها علي الذي يؤيد تعليمها ليسجلها في المدرسة.. وأجرى لها اختبارًا في بعض الأسئلة.. فأجابته بكل ثقة.. ثم انتقلت إلى الصف الأول وبعد شهرين من انتظامها في الدراسة أجرى لها اختبارًا ألحقها على أثره بالفصل التالي.

مع التعليم الرسمي تلقت زينب علوم الإسلام على أيدي مشايخ الأزهر، منهم عبد المجيد اللبان ومحمد سليمان النجار رئيس قسم الوعظ والإرشاد بالأزهر، والشيخ على محفوظ من هيئة كبار العلماء بالأزهر.

مع هدى شعراوي:

أثناء مطالعتها للصحف قرأت أن جمعية تسمى بالاتحاد النسائي ترأسها هدى شعراوي تنظم بعثة من ثلاث طالبات للدراسة في فرنسا، فتمنت أن تنضم إلى هذه البعثة، وكانت حينئذ قد حصلت على الشهادة الثانوية.

توجهت زينب إلى مقر الاتحاد وقابلت هدى شعراوي، التي أعجبت بشخصيتها الواعدة، وأخذت تقدمها لرواد

جمعيتها مفتخرة بخطابة وفصاحة زينب.

وسرعان ما وجدت زينب اسمها على رأس البعثة التي تمنتها، وتم بالفعل تحديد ميعاد السفر، بعد شهر من إعلان أسماء الطالبات الثلاث.

وهنا تذكرت زينب روح والدها العالم الصالح، وفي رؤيا شفيفة رأت زينب والدها يطلب منها عدم السفر إلى فرنسا ويقول لها: إن الله سيعوضك في مصر خيرًا مما ستجنينه من البعثة.. فقالت له: كيف؟ قال: سترين.. ولكن لا تسافري لأنني لست راضيًا عن سفرك..

امتثلت الابنة الصالحة لهذه الرؤية، وبالفعل اعتذرت زينب عن البعثة أمام ذهول هدى شعراوي، التي حاولت إثناءها عن عزمها وإقناعها بأن البعثة فرصة لا تعوض ويجب ألا تضيعها من يدها، وأن ما رأته مجرد حلم، ومن الأحلام ما يتحقق ومنها ما لا يتحقق، غير أن زينب قالت بإصرار: ما دام والدي قد أمرني فلن أخالف أمره. فاحتضنتها هدى شعراوي باكية متأثرة بوفائها ونبل مشاعرها تجاه والدها.

زينب والاتحاد النسائي:

كانت زينب من أبرز أعضاء الاتحاد «رغم اعتراض بعض العضوات على خطابها الذي لا يخلو من نبرة إسلامية يرونها بعقولهن التي صاغها الغرب رمزًا للرجعية والتخلف».

زينب وقد شكَّل نشاط عقلها وقلبها في اتجاه بعيد عن الإسلام الصحيح، متأثره بشعارات براقة ضرها أكبر من نفعها، حتى إنها اصطدمت مع الأزهر ودارت الكثير من الحوارات بينها وبين الكثير من علماء الدين.. وطلبوا من الشيخ عبد ربه مفتاح رئيس قسم الوعظ والإرشاد منعها من الوعظ.. لكن الشيخ الحكيم رأى أن مواجهة الرأي بالرأي هو منهج الإسلام.

وبالفعل تقدم الشيخ محمد النجار لمواجهة زينب بالحكمة والموعظة الحسنة.. فاستمع إليها وهي تدافع عن جمعيتها وأهدافها، وانتظر حتى انتهت من حديثها «ثم تقدم منها برفق قائلاً: هل تسمحين يا ابنتي أن أحدثك قليلاً حول الدعوة الإسلامية؟ فأجابت طلبه المهذب وجلست تستمع إليه.. وفي البداية رفع الشيخ المبارك يديه إلى السماء سائلاً ربه: اللهم إنِّي أسألك بأسمائك الحسنى وبكتابك الذي أنزلت وبنبيك الذي أرسلت أن تجعلها للإسلام إنك على كل شيء قدير.. أسألك بالقرآن أن تجعلها للإسلام.. وصل اللهم على سيدنا محمد..

ولمحت زينب دموع الصدق التي رافقت دعاء الشيخ.. فتأثرت نفسها، وسألت الشيخ وهي تخفي دمعها: لماذا تعتقد أنني لست مع الله رغم أني أصلي وأصوم وأقرأ القرآن، وسأحج بيت الله حين أستطيع.. كما أتمنى أن أستشهد في سبيل الله.. فقال الشيخ الحكيم: أحسبك كذلك.. واستمر يدعو لها بعد حوار

طويل معها ثم سألها وهو يبتسم: هل ستعودين إلى هدى شعراوي بعد خروجك من هنا أم ستبقين مع الله ورسوله؟.. فقالت زينب القوية: وأنا مع هدى أعتبر نفسي مع الله ورسوله.. لكنها عاهدته على نصرة الحق.. واستمرت علاقتها بالشيخ النجار الذي علمها أمورًا كانت تجهلها وأخرى كانت تخطئ فهمها..!!» وقد استفادت من رفقته ما أهلها لضبط مسار حياتها بعد ذلك.

نقطة التحول:

كانت نقطة التحول في حياة زينب حادثًا تعرضت له، عندما كانت في مطبخ البيت تحاول إشعال الموقد، فانفجر وأصيبت بجروح جسيمة، وقف الطبيب أمامها شبه عاجز..

استسلمت زينب لقضاء الله وأقبلت على الرحمن الرحيم تتعبد وتستعد للقائه تعالى، وكانت قناعتها بإنكار الاتحاد النسائي، وهدى شعراوي قد بدأت تهتز بعد اتساع معرفتها بقواعد الإسلام ومنهاجه القويم وفي بعض صلاتها كانت تتضرع: «يا رب إذا كان ما وقع لي عقابًا لانضمامي لجماعة هدي شعراوي فإنني قررت الاستقامة لوجهك الكريم.. وإن كان غضبك علي لأنني ارتديت القبعة فسـأنزعها وسأرتدي حجابي.. وإني أعاهدك وأبايعك يا ربي إذا عاد جسمي كما كان عليه فسأقدم استقالتي من الاتحاد النسائي، وأؤسس جماعة لنشر الدعوة

الإسلامية، وأدعو المسلمات إلى ما كانت عليه الصحابيات، وأعمل من أجل الدعوة وأجاهد في سبيلها ما استطعت»..

ويتقبل العلي الأعلى تضرع زينب، وتتحقق المعجزة، فعندما جاء موعد فك الضمادات فوجئ الطبيب (المسيحي) بالتئام الحروق وشفائها تمامًا، فصاح: «عيسى حي.. عيسى حي... لقد شفيت تمامًا وهذه معجزة» ثم أغمي عليه.

جمعية السيدات المسلمات:

لم تضيع زينب الوقت فعقب شفائها، أعدت على الفور مسودة «جمعية السيدات المسلمات» في ربيع الأول ١٣٥٦هـ/ ١٩٣٧م، كأول جمعية إسلامية نسائية تعمل في مجال الدعوة، وكان عمرها في ذلك الوقت حوالي عشرين عامًا، ونذرت ألا تتزوج حتى تحقق طموحها في إشهار هذه الجمعية ودعمها، وقد تم الإعلان عن تأسيس الجمعية من كلية الشريعة بالأزهر. ولاقت جمعية زينب القبول الحسن فقد انجذب إليها الكثيرات، وعمت أياديها البيضاء مختلف الأنحاء تأسيسًا للمساجد والمعاهد الدينية، كما أصدرت مجلة أوجدت صدى طيبًا.

ومن إنجازات الجمعية، تأسيسها لمعهد الواعظات، الذي تدرس فيه الفتاة أو السيدة المرشحة للوعظ والدعوة لمدة ستة أشهر علوم الإسلام الأساسية من تفسير و حديث وفقه وسيرة ولغة عربية، وكانت تشرف بنفسها على هؤلاء الواعظات

وتختبرهن، وقد تخرجت من هذا المعهد عشرات الواعظات اللاتي ساهمن في نشر الدعوة في المجتمع المصري، كما أسست الجمعية مشغلاً للفتيات ودارًا لليتيمات، وانتشرت فروعها في أحياء القاهرة وعدد كبير من المحافظات.

تواصلت زينب مع عدد من علماء الأزهر، الذين ساعدوها في استكمال ثقافتها العلمية الإسلامية من الحديث والسيرة والتاريخ، من هؤلاء العلماء الشيخ مأمون الشناوي، الذي أصبح شيخًا للأزهر بعد ذلك.

مع حسن البنا:

لم يمر عام على تأسيس جمعية السيدات المسلمات حتى أرسل الأستاذ حسن البنا برسالة إلى زينب مع العالم الشيخ الراحل عبد اللطيف الشعاعي يدعوها للانضمام لجماعة الإخوان المسلمين والعمل معًا ضمن قسم الأخوات المسلمات، كما التقاها بنفسه لهذا الغرض، غير أنه كان لزينب وجهة نظر مغايرة، حيث رأت في جمعيتها حلم حياتها، وأن تنوع الجمعيات وتعدد مسارات العمل لا يضر ما دام الهدف واحدًا، والتعاون على الخير قائمًا، ولذلك رحبت بالتعاون مع جماعة الإخوان المسلمين على طريق الدعوة.. غير أنها في أواخر عام ١٩٤٨م بايعت الإمام البنا على العمل في سبيل نشر وإعلاء دين الله، مدركة خطأ رأيها السابق بالانفراد بالعمل من خلال جمعيتها.

الزواج:

تزوجت زينب من العالم المحدث الشيخ محمد الحافظ التيجاني، وكان من علماء الحديث وصاحب طريقة صوفية هي الطريقة التيجانية، وله مريدون في معظم دول إفريقيا.

وكانت قد قطعت على نفسها عهدًا ألا تتزوج، حتى تنشر رسالة جمعيتها الدعوية، وقدرت لذلك عشر سنوات، ولكن جاءها الزواج بعد خمس سنوات.. وكان الشيخ التيجاني بعيدًا عن الحياة العامة والمجال السياسي والإعلامي، فبدأ عدم التوافق بين الزوجين، فطلبت السيدة زينب الطلاق.

مقابلة فاروق:

برز الدور السياسي لجمعية السيدات المسلمات خلال الأربعينيات، حيث امتطت زينب صهوة قلمها ناقدة للأوضاع الاجتماعية الخاطئة، ومطالبة بمحاربة الفساد والمفسدين وقطع دابرهم، كما أصدرت عام ١٩٥١م مجلة السيدات المسلمات الأمر الذي دعا ملك مصر في ذلك العهد إلى دعوتها لمقابلتها، «وعندما حضرت في الموعد سألها: لماذا تهاجمينني يا سيدة زينب؟ فقالت: أنا لا أهاجمك يا جلالة الملك، ولكني أقول رأيي في ضرورة أن تقرب إليك من يخافون الله وأن تبعد عنك الفاسدين والمنحرفين.. نحن نريد ملكًا يشارك الأمة في صلواتها وفي عباداتها، وفي المناسبات الدينية.. نريد ملكًا يحبه الشعب.. فلم

يعنفها أو يسيء إليها، بل تقبل منها انتقادها في حضرته، وكأنه أعجب بشجاعتها وقوتها في إبداء الرأي».

وقد اعتبرت مجلة السيدات المسلمات رائدة في مجال الصحافة النسائية، وكانت زينب تحرر جانبًا كبيرًا من موادها، حتى باب المطبخ.

حياة داعية:

في كتابها «أيام من حياتي» التي روت فيها أحداث محنتها التي تعرضت فيها للسجن والتعذيب مدة ٦ سنوات، تقول: «في عام ١٩٥٥م رأيت نفسي مجندة لخدمة الدعوة الإسلامية بغير دعوة من أحد، فقد كانت صرخات اليتامى الذين فقدوا آباءهم بالتعذيب، ودموع النساء اللاتي ترملن وأزواجهن خلف القضبان، والآباء والأمهات من الشيوخ الذين فقدوا فلذات أكبادهن.. كانت هذه الصرخات والدموع تنفذ إلى أعماقي، ووجدت نفسي وكأني من المسئولين عن آلام الجياع وجراح المعذبين، وأخذت أقدم القليل».. فقد قامت مع صحبة خيرة من النساء وبمساندة الخيرين بتقديم العون والمواساة لهؤلاء الذين سجنوا ظلمًا عام ١٩٥٤م بسبب الخلاف السياسي مع رجال الثورة.

وكانت زينب ترأس بعثة الحج لجمعية السيدات المسلمات، وكانت ترى في السعودية حلم الدولة الإسلامية، فعبرت عن رؤيتها هذه في كتاب «ملك وآمال شعب» وهو أول كتاب لها،

عن السعودية والملك سعود بن عبد العزيز. واقترحت على قادة المملكة أفكار ومشروعات منها تعليم البنات، الذي كان مرفوضًا في المملكة في ذلك العهد، وواصلت زينب جهودها واتصالاتها برجال المملكة حتى تم اعتماد هذا التعليم رسميًّا.

الزواج الثاني:

في عام ١٩٥١م تزوجت زينب من الحاج محمد سالم سالم، وكان رجل أعمال معروف، وكانت الزوجة الثالثة له.. وقد اشترطت عليه قبل الزواج، ألا يطلق أيهما، وأن يُحسن إليهما، وألا يفرق بين الثلاثة في الحقوق الزوجية والمادية، وألا يفضلها عليهما، وهو ما كان بالفعل، ليس هذا فقط، بل إنها كانت ترعى- بعد وفاته- زوجته الأولى، التي بقيت على قيد الحياة، حتى توفيت بعد حوالي ربع قرن من وفاة زوجها!، وكانت ترعى ابنة زوجها أيضًا حتى توفيت، ولزيادة القرب زوجت حفيد زوجها (ابن ابنته) من (حفيدة شقيقتها).

وقبل زواجهما اشترطت على زوجها ألا يمنعها من العمل الدعوي، قائلة: «إذا تعارضت مصلحتك الشخصية وعملك الاقتصادي مع عملي الإسلامي، ووجدت أن حياتي الزوجية ستكون عقبة في طريق الدعوة وقيام دولة الإسلام، فسنكون على مفرق طريق.. أنا لا أستطيع أن أطلب منك اليوم أن تشاركني هذا الجهاد، ولكن من حقي أن أشترط عليك ألا

تمنعني من جهادي في سبيل الله، ولتكن الثقة بيننا تامة، بين رجل يريد الزواج من امرأة وهبت نفسها للجهاد في سبيل الله وقيام الدولة الإسلامية، وهي في سن الثامنة عشرة..»، فقال زوجها: سامحيني على عدم مشاركتك الكاملة. اعملي على بركة الله.. يا ليتني أعيش وأرى غايتكم قد تحققت، وقامت دولة الإسلام.. يا ليتني في شبابي فأعمل معكم.

ولكن سرعان ما تغيرت الأوضاع، وواجه الدعاة محنة قاسية وخشي رجل الأعمال الحاج محمد سالم من غضب رجال الثورة على زوجته، وإيذائهم لها، وتعرض لتهديد ووعيد أن يمنعها، فعرض عليها الأمر حرصًا عليها ورغبة في حمايتها فذكرته بشرطها. فوقف الحاج الرجل القوي والزوج الوفي إلى جانبها.

المحنة والزوج البطل:

أظهرت تجربة السجن- بكل ما فيها من قسوة ومرارة- أصالة المعدن الذي تنتمي إليه الداعية الكبيرة الحاجة زينب الغزالي، وكشفت عن جوانب مهمة في شخصيتها.. فقد كانت داعية قوية الشخصية مهابة الجانب، قادرة على الجهر بالحق في أي مكان وفي أي زمان. وقد سجلت في كتابها «أيام من حياتي» تفاصيل هذه السنوات القاسية، وقد لاقى الكتاب صدى واسعًا وترجم إلى العديد من اللغات.

وخلال محنة السجن أجبر الزوج الشجاع على تطليق

زوجته، ولم تمر ستة أشهر حتى توفى، غير أن المفاجأة كانت في انتظار الزوجة الصابرة بعد خروجها من السجن، فقد ترك البطل والحاج محمد لزينب وصية شرعية بمحكمة الفيوم يؤكد فيها أنه طلقها بالإكراه وطلاق المكروه لا يقع شرعًا، وبذلك تكون زينب الغزالي زوجته أمام الله والناس، وأنه يلقى الله على ذلك.. (واعتبرت زينب ذلك فضلا من الله، فلم تكن- في قرارة نفسها- في أية لحظة، تشك في أن موضوع الطلاق وقع تحت إكراه، وأنه غير صحيح حتى اطمأنت وارتاحت بعد أن وجدت هذه الوصية التي تركها الرجل الصالح محمد سالم سالم).

وليعلم الجميع أن البطولات أشكال وأن كثيرًا من بطولات الرجال تقع بلا ضجة أو دعاية.

يقول الأستاذ بدر محمد بدر: «رغم أنني توليت العمل معها سكرتيرًا إعلاميًا في أواخر عام ١٩٨٢م، أي بعد وفاة رجل الأعمال بأكثر من ست عشرة سنة، إلا أنني وجدته الغائب الحاضر في حياة زينب الغزالي حتى توفيت، كانت تتحدث عنه دائمًا، بحب وشوق وتقدير وإعجاب.. كانت تذكر دائمًا مواقفه وكلماته وتعبيراته، وتتحدث عن خلقه العالي، وأدبه الجم، وجهاده وصبره واحتماله، وكانت هذه الذكرى الطيبة سلوتها في شيخوختها، ومخزن ذكرياتها التي ملأت عليها حياتها، رحمها الله رحمة واسعة».

موقفها مع الرئيس أنور السادات:

كان الرئيس الراحل محمد أنور السادات قد أرسل لزينب من يدعوها إلى رفع دعوة قضائية بطلب تعويض عن سنوات سجنها ظلمًا وطلب مبلغ مليون جنيه، وسوف تجاب دعوتها، وكان هدفه من ذلك الكشف عن أحداث الظلم في عهد من سبقه ليستفيد هو من الناحية السياسية غير أن الداعية الصابرة المجاهدة رفضت..وكان ردها: إن أموال الدنيا كلها لا تعوضني عن ضربة سوط واحد تلقيتها في سبيل الله، وإن أحدًا من البشر، كائنًا من كان، لا يستطيع أن يعوضني عن لحظة واحدة قضيتها في السجن، ولكني أنتظر الجزاء من الله العادل وحده، ولا أنتظر ممن سواه شيئًا، وقالت لحامل الرسالة: «أبلغ السادات تحياتي وشكري..».

استعلاء الإيمان:

انطلقت زينب الغزالي بعد انتهاء محنتها شرقًا وغربًا تدعو إلى الله، ولم تشغل تفكيرها بجلاديها وظالميها، فقد وكلت أمرهم إلى الله العادل المنتقم، وعندما كان يسألها الصحفيون عن هذه الفترة، كانت تطلب تغيير الموضوع للحديث فيما يفيد الإسلام والمسلمين...

واكتفت بتسجيل تجربتها للأجيال في كتابها (أيام من حياتي).

مع رئيس باكستان:

في ديسمبر من عام ١٩٨٧ م وقد تخطى عمرها السبعين كانت في مؤتمر بباكستان وقبل أن يبدأ المؤتمر أعماله، مرضت مرضًا شديدًا

وهمت بالاعتذار عن عدم الحضور، وقضت ليلتها وهي تتألم، ومع أنفاس الليل الأخيرة اعترتها سنة من النوم، إذا بها ترى رؤيا في منامها.. فقد رأت أن رسول الله ﷺ زارها، وقدَّم لها أوراقًا مكتوبة، بعد أن وقع عليها!! ثم استيقظت، لتشعر بارتياح بالغ، وسعادة غامرة، ونشاط ملحوظ.. وحضرت المؤتمر.

وفي المؤتمر جلست زينب الغزالي إلى جوار الرئيس ضياء الحق على المنصة، ثم تحدثت باللغة العربية، حيث قالت: إن باكستان قامت على الإسلام منذ تأسيسها، وستظل إن شاء مستمسكة بالإسلام، وإن العالم الإسلامي ينتظر منها الكثير.. ينتظر منها أن تطبق الشريعة الإسلامية، وأن تقف إلى جانب المجاهدين الأفغان، وقالت: إن رسول الله ﷺ زارها في المنام، وإنه قدَّم لها أوراقًا بعد أن وقع عليها، وإنها تفسِّر هذه الرؤيا على أنه ﷺ إنما جاء ليحثَّ باكستان على تطبيق الشريعة الإسلامية، وأن توقيع الأوراق معناه إقرار القوانين، وطالبت الرئيس الباكستاني- الجالس إلى جوارها- بأن يبذل كل ما في وسعه لتطبيق الشريعة وتطبيق أحكام الإسلام؛ لأن الله سيحاسبه على هذه الأمانة، وسيقف بين يديه سبحانه، فماذا هو قائل؟!

انتهت الداعية المجاهدة من كلمتها وسط ترحيب وتصفيق حار من جمهور المشاركات، وكن قرابة المائة، ثم تحدث الرئيس ضياء الحق، فقال (بالإنجليزية): رغم أنني لا أعرف العربية كثيرًا،

إلا أنني فهمت معظم ما تقوله السيدة المجاهدة زينب الغزالي، وأنا أطلب منها أن تدعو لي، فإنني ضعيف، أحتاج منها إلى الدعاء.

وأضاف: إن تطبيق الشريعة هو أمل الشعب الباكستاني، ورغبة كل مسلم في هذا البلد، وأنا أريد أن يكون تطبيق الشريعة نابعًا من الناس أنفسهم، وليس مفروضًا عليهم بقوة القانون، وتساءل- أمام المؤتمر النسائي-: هل تريدون مني أن أصدر قانونًا لارتداء الحجاب؟! فتعالت الأصوات الرافضة، فقال: إذن.. ما زالت هناك صعوبات علينا أن نواجهها!!.

وتلقت وسائل الإعلام- المقروءة والمسموعة والمرئية- الرؤيا التي رأتها زينب الغزالي، وانتشرت قصتها على أوسع نطاق، ونفدت نسخ كتابها «أيام من حياتي» المطبوع باللغة الأوردية- اللغة الأم في باكستان- الذي كان قد ترجمها الشيخ الجليل خليل أحمد الحامدي مدير دار العروبة- رحمه الله- تحت عنوان «رواد قفس» أي «أيام السجن».

مع قضايا المرأة:

كانت الداعية زينب الغزالي تحب المرأة المسلمة أمًّا، وأختًا، وزوجة وبنتًا.. كانت ترفق بها وتصبر على توجيهها، وترد على أسئلتها واستفساراتها.. كانت ترى أن المرأة ركن أساسي في انطلاق الصحوة الإسلامية، وأن نهضة الأمة لا يمكن أن تتحقق بجناح واحد هو الرجل، وكانت ترى أنَّ وظيفة المرأة

الأساسية هي الزوجية، والأمومة، ورعاية شئون الأسرة، وترفض أن تكون ترسًا في آلة العمل باسم المساواة بينها وبين أخيها الرجل، وترى أن الحضارة الحديثة أضرَّت بالمرأة أكثر مما أفادتها، حين أغرتها بالخروج إلى العمل غير المناسب لطبيعتها فأتعبتها، وأفسدت الأسرة والمجتمع.

من قريب:

كانت زينب الغزالي شديدة التواضع، إذا دعت إلى طعام قامت بنفسها على خدمة الضيوف، ولا تترك أحدًا غيرها يقوم بهذه المهمة، وتسعد كثيرًا بضيوفها، وكانوا كثرة من كل أنحاء الدنيا، من العرب وغير العرب، من المسلمين وغير المسلمين، وكانت تجيد فن التعامل الإنساني مع الإعلاميين الغربيين، وتكرمهم أكثر؛ لأنها كانت تعلم أنها سفيرة للإسلام، تحب أن تظهره في أبهى صورة.

وقبل أن تجلس إلى مائدة الطعام كانت تسأل عن خدم البيت: السائق والشغالة والسفرجي والجنايني.. هل تناولوا الطعام أم لا؟ فإن تأخروا قامت بنفسها لتقدمه لهم!

كانت مولعة بحب القراءة، تقضي معظم نهارها وجزءًا من ليلها في المطالعة في مختلف فروع العلم الشرعي.. كانت تقرأ في التفسير والحديث والسيرة والفقه، مثلما كانت تقرأ في قضايا العمل الإسلامي المعاصر ومشكلات المسلمين، كما تقرأ في الأدب والسياسة والعلوم

الإنسانية، وكانت تحرص على وجود الورق والقلم بجوارها دائمًا، فالدافع للكتابة يمكن أن يأتي في أي لحظة، وعندما زارت إسلام آباد زارت مسجد الملك فيصل (رحمه الله)، ورأت الكثير من فخامته وروعته ومظاهر الأبّهة فيه، ولكنها قالت: يوم كانت مساجدنا من جريد «النخل» حكمنا العالم!! أي يوم كنا نهتم بالجوهر قبل المظهر حكمنا العالم.

كانت صاحبة مظهر جذّاب، ذوقها رفيع، وغرفتها طاهرة معطرة جعلت منها مسجدًا صغيرًا يخلع المرء حذاءه قبل أن يدخل فيجد الغرفة وقد رتبت ترتيبًا بديعًا، ولا تستقبل فيها إلا صديقات معدودات، تفيض من كرمها عليهن بالدخول إلى غرفتها الخاصة.. رحمها الله رحمة واسعة.

كتب قيمة:

تركت الحاجة زينب الغزالي مجموعة من المؤلفات القيمة، منها:

١ - نظرات في كتاب الله، وهو تفسير للقرآن الكريم، يمثل إحدى المحاولات القلائل النسائية لتفسير كتاب الله على مدى التاريخ، وقد طبعته دار الشروق عام ١٩٩٥م.

٢ - مشكلات الشباب والفتيات في مرحلة المراهقة.

٣- إلى ابنتي.

٤ - نحو بعث جديد.

٥ - أيام من حياتي.

٦ - الأربعون النبوية.

إهداء:

في مقدمة كتابها «أيام من حياتي» نجدها تهديه:

* إلى الأرواح الطاهرة الذكية التي صعدت إلى بارئها، فرحة بفضل الله عليها ورضوانه..

* إلى النفوس النقية التي أزهقت في سبيل ربها، وذهبت إليه تشكو ظلم البشرية وطغيانها..

* إلى الدماء التي سالت لتكون موجًا هادرًا يدفع الأجيال عبر التاريخ إلى طريق ربها..

* إلى الشهداء الذين قتلوا في سبيل الله وفي سبيل الإسلام فضحوا وفدوا فكانوا في الأرض الأوفياء، وفي الآخرة الخالدين الفائزين..

* إلى الذين قال لهم الناس: ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾[آل عمران: ١٧٣].

* إلى الذين عذبوا في سبيل الله تعالى فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا.

* إلى زوجي، إلى تلك النفس الطيبة التي شاركتني أيام حياتي ببذلها وتضحيتها، ثم فاضت تلك الروح الندية، والمحنة قائمة.

* لكل هؤلاء وللمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها أقدم هذا الكتاب. وأسألك اللهم أن تتقبله وتنفع به.. ﴿رَبَّنَا

اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾[آل عمران: ١٤٧].

لا بد من العودة إلى الإسلام:

وفي كتابها هذا تؤكد على أنه: (لا بد من عودة الأمة الإسلامية بكل مقوماتها إلى أرض الإسلام لتحقق الصورة العملية العملاقة بعودة مجتمع التوحيد والعلم والمعرفة والصلة الحقيقية بالله سبحانه وتعالى، فتنطوي مجتمعات الجاهلية التي أعمت البشرية عن طريقها السوي وشغلتها بفلسفتها عن طريق الله.. طريق الحق، فيعملوا على تطهير الأرض من تأليه البشر، وعبادة طواغيت الأرض باتباع تشريعاتهم وتعطيل شريعة الله، وتعود الحياة بنبضات الوجود الحقيقي الذي كانت به الأمة في عصر النبوة وصحبة المباركين رضوان الله عليهم جميعًا خير أمة أخرجت للناس.

لا صلاح لأمة ولا لهذا العالم إلا بالدعوة إلى الإسلام. إن غياهب السجون ومقاصل التعذيب وشراسة حملة السياط لم تزد المخلصين من أبناء الدعوة وبناة فكرها إلا قوة وثباتًا وصبرًا على دفع الباطل ونحن نترصد منابته.

كذلك كان عهد الذين سلكوا طريق الحق قبلنا فاعتقدوه. فليس بالسياط يضيع الطريق!! ولكن الحجة بالحجة والرأي بالرأي والكلمة تجابهها الكلمة. سهل أن تضع القوة الباطشة العمياء السياط في أيدي المجانين، ولكن الصعب هو أن تأخذ المخدوعين

بالباطل والمقتنعين بحمل السياط والمتألهين في الأرض، عن طريق غوايتهم وجهلهم فتهديهم إلى طريق مستقيم.

والطريق إلى الحق واحد هو طريق الله وأنبيائه ورسله وورثتهم. أما الباطل فطرقه وسبله متفرقة، وعلى كل سبيل من سبله شيطان يزين للمغمورين منهم في ظلمة الباطل غوايته ويقودهم إلى سبيله. ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾[الأنعام: ١٥٣].

وليس أمام البشرية اليوم للخلاص من ذلك الضلال وهؤلاء الطغاة من البشر إلا أن ينتهجوا منهج الحق، وينتهجوا منهج الله، المنهج المحمدي الموحي به «القرآن الكريم» والملهم به من السنة الصحيحة.

وإني لأرى بوادر النصر وإرهاصاته إن شاء الله بقيام الأمة وعودة المجتمع الذي سيعلو بتوحيده فوق توليفات البشر مما يغزو بلادنا اليوم من تيارات الإلحاد، نعم إني لأحسها قريبة وأرى أعلامها ترمي بهذا الغثاء من فكر البشرية الضال في ركام الجاهلية، وأني لأكاد أشاهد أعلام الالتزام مما كلفت به خير أمة أخرجت للناس.. وأعلام الالتزام بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله.

نعم إننا لا نستعجل الزمن. فالسنون، عشراتها ومئاتها ليست بذات قيمة في عمر الدعوات والأمم. ولكن العبرة أننا ثابتون على الطريق مؤمنون بسلامة الخطى ووضوح الرؤية.

إننا على يقين أننا على حق. المهم ألا نتقاعس ولا نتخاذل ولا نتقهقر عن عقيدتنا، عقيدة التوحيد، عقيدة العمل، عقيدة البيان: بيان الحق للناس جميعًا، بيان عقيدتنا لكل البشر.

ففي طاعة الله العزة والسعادة والنصر والغلبة والتمكين وجنات النعيم في الفردوس الأعلى عند رب العالمين. ﴿**إِن تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ**﴾[محمد: ٧].

دمعة على أم الصابرين:

توفيت السيدة زينب الغزالي في شهر أغسطس عام ٢٠٠٥م.

وهذا جزء من قصيدة «دمعة على أم الصابرين»، التي نظمها وألقاها الدكتور جابر قميحة، أستاذ الأدب العربي بجامعة عين شمس، في سرادق عزائها بالقاهرة مساء الجمعة (٥/ ٨/ ٢٠٠٥م) أمام جمع حاشد من المعزين من الشعب المصري والمسلمين والعرب..

بكيت، وقلبي في الأسى يتقلب
فجاء رفيقي مفزعًا، وهو يعتب
وقال: أتبكي والقضاء محتم
وليس لنا من قبضة الموت مهرب؟!
فقلت: تعالى الله، فالحزن ساعرٌ
قوي، عتي، والفقيد زينبُ
ولو كان فضل الراحلين مراثيًا
لجاد بمرثاها الحطيم، ويثرب
فلا كل مفقود يراع لفقده
ولا كل حي فائقٌ، ومحبَّبُ

ولا كل من يحيا الحياة بحاضر
ولا كل من في القبر ماض مغيب
فإن خلود المرء بالعمل الذي
يقود مسار الخير لا يتهيب
أناديك- أم الصابرين- بمهجتي
وكلي دعاءٌ مِنْ سناك مُطيَّبُ
سلام وريحان وروحٌ ورحمةٌ
عليك، وممدودٌ من الظل طيب
فقد عشت بالحق القويم منارة
تشد إليها كل قلب وتجذب
وكنت- بحق- منبع الحب والتقى
ومدرسة فيها العطاء المذهبَّ
ودارك كانت مثل دار «ابن أرقم»
تخرج فيها من بناتك أشهُبُ
فرحن- يا أماه- في كلِّ موطن
يربِّين أجيالاً على الحقِّ أدِّبوا
شبابًا حييًّا في شجاعة خالد
له الحق نهجٌ، والشريعة مذهبُ
يفرون عند المغريات تعففًا
وحين ينادي الروع هبوا وأجلبوا
ومن كان للحق القويم نهوضه
فليس لغير الله يرضى ويغضب

المصـــــــادر

- روضة الصبر، إبراهيم عبد اللطيف، دار صقر قريش، القاهرة، ١٩٩٣م.
- تربيتنا الروحية، سعيد حوى، دار إسلام، القاهرة، ١٩٩٠م.
- معاتبة النفس، الحارث المحاسبي، دار الاعتصام، القاهرة، ١٩٨٥م.
- مدارج السالكين، ابن قيم الجوزية، دار الكتاب العربي القاهرة، ١٩٩٠م.
- لطائف المعارف، ابن رجب الحنبلي.
- رياض الصالحين، الإمام النووي.
- إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي.
- تلبيس إبليس، ابن الجوزي.
- جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي.
- إغاثة اللهفان، ابن القيم.

مصادر ضيفة الشرف:

- أيام من حياتي، زينب الغزالي، دار الشروق، القاهرة/ بيروت، ط ٨، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
- سطور من حياة الداعية المجاهدة زينب الغزالي، بدر محمد بدر، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، ط١، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.
- موقع إسلام أون لاين نت/ http://www.Islamonline.net امرأة في عين العاصفة، صهباء محمد بندق.
- موقع إخوان أون لاين/ لقاء مع الأستاذ بدر محمد بدر. http://www.Ikhwanonline.com

الفهرس

الموضوع	الصفحة

الفصل الأول: شراب الأرواح

الفصل الثاني: أعماق البئر

الفصل الثالث: من أسلحة الشياطين

* * *